عَيْش الإنْجيل

بقلم

القس سهيل سعود

إهْداء

إلى عائلتي الحَبِيْبَة

إلى زَوْجَتي "منغالا" شَريكَتي وسَنَدي الدَّائم

في عِيد زواجنا العِشْرين

وإلى ابْني "ريشار"، وابْنَتي "غريس"

لتَفَهُّمهُما وتَحَمُّلهُما انْصرافي عَنْهُما في بَعْض الأحْيان

بسَبَب مشاغِل الخِدْمَة

أُهْدي كتابي:

"عَيْش الإنْجِيل"

تَوْطِئة

رغبتُ أنْ أصدِر كتابَ "**عَيْش الإنجيل**" بمُناسبة مرور عشرين عاماً على رسامتي قسّيساً في آذار 1992 في السينودس الإنجيلي الوطني في سوريا ولبنان. وبعد تِلك السّنين مِن الخدمة، كراعٍ وواعِظ في الكنيسة الإنجيلية المشيخية الوطنية في بيروت، وكمَسْؤول رعوي عن كنيستَيّ مجدلونا والجميلية المَشْيخيَّتَيْن في الشُّوف، مُنذ السَّنوات الخَمْس الأخيرة، أحْبَبتُ أنْ أجمَع مُختارات مِن عظاتي ومقالاتي (نُشِرَ بعضٌ مِنْها في مجلَّة النَّشرة التابِعة للسينودس الإنجيلي، وفي جريدة النَّهار اللبنانية)، وذلك بعد مراجعتها وتنظيمها وتبويبها لتُوضَع في هذا الكتاب: "**عَيْش الإنجيل**".

إنَّ الخِبْرة الرَّعوية، والتَّواصُل بَيْن الرَّاعي والرَّعية، لهما فائدة كبيرة في بُنيان الطَّرفَيْن، الراعي والكنيسة. فالرِّعاية تُقَدِّم مادة غنية للوَعظ. إذْ بمُشاركة الراعي لعائلات الكنيسة، في ضُعفهم وقوتهم، في آلامِهم وأفراحهم، يجعلُ عظاته أكثر توجيهاً ومُخاطَبَةً لاحتياجاتهم. كما أنَّ مُلاحظات الرعية، ولا سيّما المُصْغين الجيِّدين المُتفاعلين مع المنبر، والذين أثني على إصغائهم، لَعِب ويلعب دوراً أساسياً في التَّشجيع على التَّحضير، واختيار العظات التي تخاطِب حاجات أعضاء الكنيسة في ظروفهم المُتغيّرة لتمجيد اسم المسيح في كلِّ آنٍ وأوان.

هُنا لا بُدَّ مِن تقديم الشُّكْر الجزيل لفريق العمل، لكلِّ الذين ساهموا كلٌّ على طريقته، بفَرح ودون أيِّ مُقابِل، في التَّحضير والتَّصحيح لإنْجاز هذا الكتاب. وأخُصُّ بالذِّكْر مِنهم: الأعزاء أساتذة كلية اللاهوت للشَّرق الأدنى: الدكتور **جورج صبرا** أستاذ مادة اللاهوت النظامي، الذي بتوجيهه لي، ساهم في هيكلة وبنية وتبويب الكتاب. الدكتورة **ماري مخائيل** أستاذة مادة التربية المسيحية، التي وَضَعَت مُلاحظاتها على قِسْم العِظات. الدكتور **جوني عوّاد** أستاذ مادة العهد الجديد الذي وضَع ملاحظاته على مُعظَم المقالات التاريخية. كما أخُصُّ بالذِّكْر أيضاً: الشيخ الجليل **إميل عشي** الذي قام بالتَّصحيح والضَّبط اللغوي ، والقس الوقور **أمير اسحق** الذي وضَع ملاحظاته على الأفكار التي بحاجة لمَزيد مِن التَّوضيح، وقام بعملية التَّنْضِيد للكتاب، وأدخَل التَّصحيح

والتَّحريك على الكومبيوتر، وأعَدَّ الكتاب للطباعة، بمساعدة الشماسة **جنفياف زعرب**. وأشكر القس الدكتور **غسان خلف** على تقديمه للكتاب. وأخيراً أشكر: العزيزات السيدة **ميراي صقر**، والسيدة **نورما توما**، والسيدة **لودي أندراوس**، والآنسة **منى التإلى**، اللواتي عَمِلْنا على طباعة وإعادة طباعة العِظات والمقالات. فبفَضْل تعاون وجهود فريق العمل هذا، أبْصَر هذا الكتاب النور.

مقدمة لكتاب الانجيل عقيدة وحياة

مِن سِمات الكنيسة الحقيقية، يقول المُصلِح الإنجيلي جان كلفن: "الوعظ باستقامة بالإنجيل". فالوَعظ الصحيح باستقامة مِن الإنجيل، يُظْهِر قوة الإنجيل، الخَبَر السَّار، في التغيير والتَّجديد والتَّوجيه، لعَيْش حياة الإيمان التي تُرضي الله وتمجِّد اسْمَه. وقال الواعظ مودي: "الوعظ الصحيح هو الذي يصنع فَرقاً في الحياة". عندما حاول إبليس في تجرِبة المسيح في البرية أنْ يحصُرَ ويُحدِّد معنى الحياة في تناول الخُبز والطَّعام، إذْ عندما رأى المسيح جائعاً اقتَرَح عليه تحويل الحجارة إلى خبز، أجابه المسيح: "**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلِّ كلمة تخرج مِن فَمِ الله**" (متى4 : 3و4). وبالتالي، فالرَّبّ يسوع المسيح يعلِن لنا أنَّ لا حياة ذات معنًى للإنسان بعيداً عن الإنجيل، كلمة الله.

دعا الرسول بولس أعضاء كنيسة فيلبي إلى عَيْش الإنجيل، في كلّ تجلِّياته قائلاً لهم: "**فَقَط عَيْشوا كما يحقُّ لإنجيل المسيح**" (فيلبي1 : 27). دعاهم إلى اختبار ما يَحْمِل الإنجيل مِن معنًى فريد لكلِّ جوانب وحاجات الحياة، الروحية والنفسية والفِكْرية والإرادية، كيما نعَيْش محبَّة الله "**مِن كلّ القلب، ومِن كلّ النَّفْس، ومِنْ كلِّ الفِكْر، ومِن كلّ القُدرة**" (مرقس12 : 20).

إنَّ الهدف الأساسي للوعظ هو المُساعدة في عَيْش الإنجيل من خلال تفسير كلمة الله باستقامة ومِصداقية، كما يذكر النبي نحميا: "**وقرأوا في السِّفْر في شريعة الله ببيان، وفسّروا المعنى وأفهموهم القراءة**" (نحميا 8:8). فتفسير كلمة الله باستقامة بالاعتماد على إرشاد الروح القدس، يحيي الكلمة ويكشف كنوزها ويُظهِر قوّتها ومعناها للحياة، للنمو في معرفة ومحبة المسيح نحو النضج الروحي، وهذا يتطلب أمرَيْن:
الأول، عدم تقديم قصة الإنجيل، التي مِحورها محبة الله التي أظهرها بموت وقيامة ابنه يسوع المسيح من أجل خلاص الإنسان، كقصَّة قديمة حَدَثَت في الزمان الماضي وانتهت مفاعيلها، ولكن تقديمها كقصَّة جديدة لا تشيخ ولا تَعْتَق، بل تتجدّد يومياً في حياتنا، وتُقدِّم لنا الحياة والخلاص والرَّجاء، في كلِّ ظروف الحياة. أمَّا

الثاني، فهو عدم تقديم قصـــــة محبة الله في الإنجيل بطريقة حيادية وبدون عاطفة ومحبة، وكأنَّنا مُتَفَرِّجين نشـاهد ونُراقب القصـة مِن بعيد، ولكن تقديمها كمُشـاركين في القصَّـة الحدث، ومؤمنين بأنَّ هذه القصـة هي قصَّتنا، وأنَّ المسيح الرَّبّ سَرَدها بدمه لأجلنا، لتكون لنا حياة ويكون لنا أفْضَل. وهكذا نسير مع المسيح على دَرْب الجلجثة، ونُصْـلَب معه كما صُـلِبَ، ونقوم معه كما قام. فيكون سَبَب مُشاركتنا في قصـة المسيح، لأنَّنا "**رأينا مجده مجداً، ومِنْ مِلْئه نَحْن جَميعاً أخَذْنا نِعْمةً فَوْقَ نِعْمةٍ**" (يوحنا1: 14و16). وهكذا نشـــارك في قصـة الإنجيل، "**لأنَّنا رأينا ونَشْـهد، ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَت لنا**" (1يوحنا 1 : 2).

إنَّ كتاب "عَيْش الإنجيل"، إنَّما هو دعوة للجميع للمُشاركة في قصة الإنجيل مِن خلال عَيْش الإنجيل الذي يخاطب كلّ جوانب وحاجات حياتنا الروحية والنفســـية والفِكْرية والإرادية، ويُقدّم لنا الحياة والخلاص والرَّجاء في كلّ ظروف الحياة. ينقَسِم هذا الكتاب إلى جزئَيْن أساسيِّيَنْ : هُما عظات، ومقالات إنجيلية.

الجزء الأول وهو الأســاســي، مؤلَّف مِن ثلاث مجموعات مِن العظات المُســتمدَّة مِن الإنجيل، يبلغ عددها سبعة وأربعون عظة.

المجموعة الأولى، هي عظات تمّ ترتيبها بِناءً على الروزنامة الكنسـية المُتَّبَعَة في بَعض الكنائس. وهي تدعو القارىء للمُشاركة في قصَّـة الإنجيل، بالعَيْش مع المسيح مُنْذ تجسُّده في عالَمنا، وحتى إرساله الروح القدس في يوم الخمسـين. فنتوقَّف مع المحطّات الرئيسـية في حياة الرَّبّ يسـوع. وبالتالي، نتوقَّف مع معنى مجيئه وميلاده ومعموديته وتَجَلّيه وصومه ودخوله أورشليم وصَلْبه وقيامَتِه وظُهوراته وصعوده وإرساله الروح القدس في العَنْصَـــرَة، فنَنْهَل مِنْ كُلِّ محطة مِن محطات حياة المســيح، دروســاً روحيَّة عميقة تخاطِب حياتنا في الإيمان، لأنَّ كلَّ ما قام به المسيح كان لتعليمِنا كيف نعَيْش الإنجيل.

المجموعة الثانية مِن العظات، تتمَحْور حول عَيْش حياة الإيمان التي يُعلنها الإنجيل والنمو في علاقتنا الروحية مع الرَّبّ يسوع المسيح. تتناول هذه المجموعة:

(1) الإقرار بفساد الإنسان.

(2) عمل الله في حياة الإنســـان المؤمن مِن خلال عنايته، عطية الإيمان (الولادة الجديدة)، والنعمة، والرجاء.

(3) حاجة الإنسان المؤمن إلى النمو في علاقته مع الله من خلال: الصلاة، والغفران، والقداسة، والشُّكر.

المجموعة الثالثة من العظات، تَتَمَحْوَر حول عَيْش الإنجيل في العالَم، وصياغة الشَّخصية المسيحية المُستمدَّة مِن الإنجيل. فالشـــخصـــية هي مجموعة القِيَم المُختارَة التي تُبْنَى عليها التَّصـــرفات الأخلاقية وردود أفعال الأشخاص. وتتناول هذه المجموعة:

(1) التأمل في شـخصـية المسـيحي التي يعكسـها الإنجيل من خلال: سِـمات الحِكْمَة والوداعَة، شـهادة الضَّمير المسيحي، القَناعَة المسيحية، المُثابَرَة وَقْت الفَشَل، الالْتصاق بالرَّبّ للتغلُّب على التجارب.

(2) عَيْش قِيَم الإنجيل مِن خلال الاهتمام بزيجاتنا، ودعوة المســيح لمُرافقة عائلاتنا مُنْذُ تأســيســها في العُرْس، الاهتمام بآبائنا وأمَّهاتنا، وتربية أولادنا على الإيمان الذي يُعلنه الإنجيل.

(3) عَـيْش قِـيَم الإنجيـل فـي المُجتمـع مِـن خـلال مواقِفنـا العمليـة الواضِـحَة المُتمثِّلـة بعَيْشـنا بعَـدْل وسـلام ومحبـة ورحمـة ومُسـامحة وخِدمـة المُحتـاجين والمُتـألِّمين، ودعوتنـا المُجتمـع إلـى العدالـة والسَّلام والمحبة والرَّحمة والمُسامحة.

(4) عَيْش قِيَم الإنجيل مِن خلال حِفاظنا على البيئة، خليقة الله التي ائتمَنَنا عليها.

الجُزْء الثاني مِن كتاب "عَيْش الإنجيل"، مؤلَّف من تسعة مقالات، تتناول مواضيع مِن التُّراث الإنجيلي المُصْلَح، إذ نعود بالذَّاكِرة إلى الجُذور التاريخية، إلى حركة الإصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، التي انْبَثَقَت منها الكنائس الإنجيلية. نَترافق، مِن خلال هذه المَقالات، مع المُصْلِحين الإنجيليين الأوَّلين الذين نَقَدوا بموضوعية بعض مُمارسات وعقائد كنيسة القرون الوُسطى، وبالتحديد التي لم تنسَجم مع مفهومهم لكلمة الله. وهكذا دَعَوا إلى عَيْش الإنجيل في العقيدة والإيمان والحياة. نترافق مع بعض المفاهيم التي أرْسَت المبادئ الأساسية للإيمان الإنجيلي المُصْلَح، لا سيّما مبادئ: "الكتاب المقدس وحده"، "النعمة وحدها"، "الإيمان وحده"، "كهنوت جميع المؤمنين، "حرية الضمير"، "المسيح رأس ورئيس الكنيسة الوحيد ومَصْدر وحدتها"، وغيرها مِن المبادىء الإنجيلية الأخرى.

وهنا لا بُدَّ مِن التأكيد أنَّ الغاية مِن هذه المقالات التاريخية تعريف وتوعية، وبروح المَسؤولية والموضوعية، أعضاء الكنائس الإنجيلية خاصة، والكنائس الشَّقيقة الأخرى عامَّة، بالتُّراث الإنجيلي المُصْلَح الذي انْبَثَق مِن فَهْم المُصلِحين الإنجيليّين لكيفية عَيْش الإنجيل. مع التأكيد على مَحبَّتنا واحْترامنا لجميع الكنائس، وعلى مَبْدأ حرية الضَّمير في التَّوافُق أو عدمه مع الفِكْر الإنجيلي المُصْلَح. وتتناول هذه المقالات:

(1) دعوة المُصْلِحين الإنجيليّين: مارتن لوثر، وجان كلفن، إلى عَيْش الإنجيل واتِّخاذه المَصْدر الأول للعقيدة والإيمان والحياة.

(2) النَّظْرة الإنجيلية المُصْلَحَة إلى الكتابات الأبوكريفيَّة، وآباء الكنيسة، ووحدة الكنيسة، ومريم العذراء.

(3) النَّظْرَة الإنجيلية المُصْلِحَة لعَيْش الإنجيل مِن خلال مَفْهوم: الدولة، والتربية، والعمل.

في الختام، صلاتي إلى الرَّبّ يسوع المسيح أنْ يستخدم الرُّوح القدس هذا الكتاب، لاختبار القارىء لعُمْق محبة المسيح، وتَمْجيد اسْمه والتَّمتُّع ببركات كلمة الله طوال سنيّ حياته. آمين.

القس سهيل سعود

الكتاب المُقدَّس دستور الإيمان الإنْجيلي

تَشْــتقُّ الكنائس الإنجيلية اسْــمها من كلمة إنجيل "الخبر الســار". فالإنجيل، أو الكتاب المقدس، له مكانة خاصــة في فِكْر وحياة الإنجيليين. وهذا الأمر يعود في جذوره إلى حركة الإصــلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر. إذْ أصَرَّ المُصلِحون الإنجيليون على مبدأ "Sola Scriptura" "الكتاب المقدس وحده" المَصدر الوحيد للعقيدة والإيمان والحياة. ولأهمية الكتاب المقدس في تراثنا وحياتنا، مِن الضَّـــروري لنا معرفة جذوره

وكيف جُمِعَت أسْفاره حتى صار في صيغته النهائية يتكون من سِتٍّ وسِتِّين سِفراً، وتسعة وثلاثين مِنها في العهد القديم وسبعة وعشرين سِفراً في العهد الجديد.

مُنْذ ولادة الكنيسة في يوم الخمسين (العَنْصَرة)، كما يخبرنا سِفر أعمال الرسل الإصحاح الثاني، أنَّ الرسل انطلقوا كارزين بقيامة المسيح في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض، بحسب وعد المسيح (أعمال 1:8). والأسفار المقدسة التي استخدمتها الكنيسة الناشئة آنذاك، كانت ما يُسمَّى اليوم بالعَهْد القديم. إلاّ أنَّ نَظْرة الكنيسة الأولى لأسفار العهد القديم اكتَسَبَت بُعَدًا جديدًا، لتُشير إلى تحقُّق أسْفار نبوءات العَهْد القديم حَوْل المسيَّا المُنْتَظَر في الرَّب يسوع المسيح الذي مات مِن أجل خطايانا، وقام مِن أجل تبريرنا، وصَعَدَ إلى السماء وجَلس عن يمين الآب. كما نقرأ في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثالث أنَّ الرسول بطرس شدَّد في كرازته على أنَّ نبوءات الأنبياء أشارت إلى مَوْت المسيح، فهو يقول: "**أمَّا الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا... وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام**" (أعمال 3: 18 و 24). وهكذا فإنَّ تلك الأسْفار النبوية المُقدَّسة أضْحَت لها السُّلْطَة العُليا في الكنيسة في القَرْن الأول، إذْ اعْتُبِرَت كافية لإظْهار وإثبات إيمان الكنيسة الأولى. فالرسول بولس يقول لتيموثاوس: "**وأمَّا أنْتَ فاثْبُت على ما تعلَّمت وأيْقَنْتَ عارِفًا مِمَّن تَعَلَّمْتَ، وأنَّك منذُ الطُّفولية تَعْرف الكُتُب المقدَّسة القادِرة أنْ تُحَكِّمَك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع**". (2 تيموثاوس 3 : 14).

إلاَّ أنَّه بالإضافة إلى السُّلْطَة العُليا للأسْفار المقدسة القديمة، اعْتَمَدت الكنيسة في شهادتها للمسيح في القرن الأول على التقليد الحَيّ، أي على ما سَمعه وعايَنه الرسُل مِن المسيح الرَّب مُباشرةً، أو مِمَّنْ سَمِعوا عن المسيح، الذين كانوا يُعلّمون ويُبشِّرون ويَعِظون. وهكذا حَمَل المُبشرون ما سمعوه وما تناقَلَتْه الألسُن بأمانة مِن جيل إلى جيل. ويَشْهد كتاب العهد الجديد على هذه الحقيقة التاريخية. فالبشير لوقا مَثلاً، يذكُر في بداية إنجيله واصِفًا تعاليم الإيمان المسيحي ب (الأمور المتيقنة)، "**إذْ كان كثيرون قَدْ أخذوا بتأليف قصَّة في الأمور المتيقنة عندنا. كما سلَّمها إلَيْنا الذين كانوا مُنْذُ البَدْء مُعاينين وخداماً للكلمة**" (لوقا1 :1-2). أمَّا الرسول بولس فيقول في رسالته الأولى إلى كورنثوس: "**وأعرِّفكم بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه... فإنَّني سَلَّمْتُ إليكُم في الأوَّل ما قبلته أنا أيضاً، أنَّ المسيح مات مِن أجل خطايانا**" (1 كورنثوس

15: 1 و 3). وبكلمة أخرى، فالإنجيل أو البشـارة السـارَة كانت في بداية القَرْن الأول للكنيسـة، مِن خلال الكلمة الحيَّة المَسـموعة والمُتواتِرَة مِن شَـخْص لآخَر ومِن جيل لآخَر. فلَمْ يكُن الاهتمام مُركّزًا حَوْل الكلمة المكتوبة.

ابْتدأ مؤمِنو الكنيسـة بحِفْظ هذه الحقائق المسـيحية كتابةً، ابتداءً مِن الخمسـينيات ميلادياً وتدريجياً، حتى بدايات القرن الثاني للميلاد. وقد كُتِبَت هذه الكتابات المُتنوِّعة بشَكْل مَخطوطات بخَط اليَد، وانْتَشَرَت هُنا وهناك في الكنيسـة الأولى. والأمْر الذي سَـرَّع عملية جَمْع أسـفار العهد الجديد المكتوبة، هو ظُهور أحد الهراطقة في بداية القَرْن الثاني الذي شكَّل خَطراً على إيمان وعقائد الكنيسة هو "مارسيون"، الذي رَفَض العهد القديم الذي كان مَقْبولاً في الكنيسـة. كما رَفَض الكتابات المسـيحية الموجودة آنذاك ولَمْ يقبل مِنْها إلاَّ بَعْض المقاطِع القليلة من إنْجيل لوقا ورسائل الرسول بولس. فما كان مِن الكنيسة، وبإرشادٍ مِن الروح القدس، إلاَّ أنْ رَفَضَـت فِكْر "مارسـيون"، وتدريجياً قامَت بجَمْع الكتابات المسـيحية المَقبولة لحِفظ حقائق الإيمان المسـيحي بأمانة. كما أنَّ العامِل الآخَر الذي سَـرَّع بعملية الجَمْع تلك، هو ظهور بِدْعَة أُخرى في الكنيسـة في النِّصْـف الثاني من القرن الثاني هي المونتانية (Montanism)، أو كما سُمِّيَت (بالنبوءة الجديدة). فصَدَر عنها كتابات وأفْكار غريبة لا تتماشـى مع الإيمان المسيحي. وهكذا، وأمام هذه الهرطقة الجديدة، سارَعَت الكنيسـة، وبوَحْي مِن الروح القدس، إلى إكمال جَمْع الكتابات المسـيحية. وقد اعْتَمَدَت ثلاثة مقاييس لقبول تلك الكتابات واعتبارها قانونية: الأول، رسـولية الكتابَة المسـيحية التي تَنْسَـجم مع تعاليم الرسـل. الثاني، شـهادَة الكتابة للحقائق المسـيحية، وتماشـيها مع الإيمان المَوْروث. الثالث، انْتشـارها واسْـتخدامها في الكنائس. ولتَنْظيم هذه المُسـتندات، اتَّخَذَت الكنيسـة فِكْرَة العَهْد، عَهْد الله مَع الإنسـان المَأخوذة مِن الكتاب المقدس، وأطْلَقَت تعبير "العَهْد القديم" على الأسـفار القديمة، وتعبير "العَهْد الجديد" على الكتابات المسـيحية المَقْبولة. والجَدير بالذِّكْر أنَّه في القرن الثاني الميلادي، كان للكنيسـة تصـوُّرها بقائمة أسْـفار الكتاب المقدس عامَّة، وأوَّل شـاهِد لقانون العهد الجديد كما نعرفه اليوم هو مِن القرن الرابع، وبالتحديد سـنة 376 م. غير أنَّه لَمْ تُجْمَع تِلْك الأسـفار بصيغتها القانونية النهائية إلاَّ في القرن الخامس للميلاد.

إنَّ الظُّروف التي مَرَّ بها الكتاب المقدس، لا سـيَّما في القرون الأولى، كانَت صَـعْبة جداً، لكنَّ الله حفظ كلمته بروحه إلى أنْ وَصَلَت إلَيْنا اليوم. فمَثلاً في وقت الإضطهاد الكبير للمسيحيين عام 303 أصْدر الإمبراطور الروماني "ديوكليتان" مَرْسوماً قَضى بِحَرْق كلّ نَسْخات الكتاب المقدس، ظَناً مِنْه أنَّه بِحَرْقه إيَّاه يوقِف إنْتَشار الكنيسة. وفِعلاً، تَمّ حَرْق العديد مِن النَّسْخات، واسْتَشْهَدَ العَديد مِن المسيحيين بسبب الإضطهاد. وقد اعتقد ذلك الإمبراطور أنَّه نَجح في مُهمَّته، فأمَرَ بنَقْش وسامٍ كُتِبَ عليه "لَقَدْ أفْنَيْتُ الديانة المسيحية، وأعَدْتُ عِبادَة الآلِهَة". لكنَّ أُمْنيته هذه تلاشَت بمَوته، وما هي إلاَّ سنوات، حتى اعْتلى العَرْش الملكي الإمبراطور "قُسْطنطين"، الذي آمَن بالمسيح فجَعل المسيحية دِيْن الدولَة، وسَمَح بانْتشار الكتاب المقدس.

وخلال القرون الوسطى، كان الكتاب المقدس مَحْجوباً عَن الأنْظار ومُتواجداً في يَدِ قِلَّة قليلة مِن الكَهَنة، فثار المُصلِحون الإنجيليون على هذا الواقِع. وهكذا أطْلَق المُصلِح الإنجيلي الألماني "مارتن لوثر" حركة الإصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، فترجَم الكتاب المقدس مِن لُغاته الأصلية إلى لُغة الشعب الألمانية. وقد استخدم آنذاك نُسْخَة العالِم الكبير "إيرسموس" أو ما يُسمَّى اليَوم ب (textus receptus). وهو النَّص الذي استخدمه المُرسَل الدكتور القس "كورنيليوس فانديك" في ترجمة العهد الجديد إلى اللغة العربية. ودرس المُصلِحون الكتاب المقدس بلُغاته الأصلية التي كُتِبَ فيها (العبرية للعهد القديم، واليونانية للعهد الجديد)، وجعلوه المَصْدر الوحيد لإيمانهم وعقيدتهم وحياتهم، لأنَّهم آمنوا "**لأنْ فيه مُعْلَنٌ بِرُّ الله بإيمان لإيمان، كما هو مكتوب، أمَّا البارّ فبالإيمان يحيا**" (رومية 1: 17).

بَعْد هذه الجَولة التي تعرَّفنا فيها على تاريخ كتابة وجَمْع أسفار الكتاب المقدس، يبقى الكتاب المقدس مِن أكْثَر الكُتب قراءةً في العالَم. ويوجَد الكثير مِن الناس الذين يقرأونَه لأهْدافٍ وغايات مُحدَّدَة لا تَمَتُّ إلى الإيمان المسيحي بِصِلَة. لهذا، فالسؤال الأساسي الذي يَجِب طَرْحه هو: كيف نَقْرأ الكتاب المُقدس؟ البعض ينظرون إليه ككتابِ أدَبٍ يحتوي على القصة والشِّعْر والأمثال. والبَعْض الآخَر ينظُر إليه وكأنه كتابُ أخْلاقٍ. وغَيْرهم ينظُرون إليه ككتابِ تاريخٍ. وآخَرون يقرأونه لغاياتٍ سياسية أو حِزبية ضَيِّقَة.

إنَّ طريقة قراءتنا للكتاب المقدس هي التي تحدِّد مدى أهميته بالنسبة لنا. يُخبرنا الرسول بولس عن الهدف مِن قراءة الكتاب المقدس، فيقول في رسالته الثانية إلى تيموثاوس: "**كلُّ الكتاب هو مُوحًى به مِن الله، ونافِعٌ للتَّعليم والتَّوبيخ للتَّقويم والتَّأديب الذي في البِرِّ. لكي يكون إنسانُ الله كامِلاً مُتأهِّباً لكلِّ عَملٍ صالِح**" (2 تيموثاوس 3: 16 و 17). فهذا هو الهدف منه. وعندما نقرأ الكتاب المقدس يجب ألاّ يغيب عن أذهاننا هذا الهدف الذي حدَّده الرسول بولس. أيضاً يقول الرسول بطرس: "**عالمين هذا أولاً، أنَّ كلَّ نبوَّةِ الكتاب لَيْسَت مِن تفسير خاص، لأنَّه لَمْ تأتِ نبوَّة قَطْ بمشيئة إنسان، بَلْ تكلَّم أُناس الله القديسون مَسوقين مِن الروح القدس**" (2 بطرس1: 20 و 21). وكان يقصد أنَّ يقول إنَّه عندما كَتَب رِجالات الله المؤمنين الأسْفار المقدسة، فإنَّهم، بالاعتماد على الروح القدس، دوَّنوا اخْتباراتهم الروحية التي غَيَّرت حياتهم، فوضعوها في أحْرف جامِدَة وأغْلَقوا عليها في حِبْرٍ وكلمات وأوراقٍ. لكن سَتَبْقى هذه الكلمات جامِدَة وبِلا حياة وبلا حيوية، ولَنْ توصلنا إلى الهَدف المَقْصود، إنْ لَمْ نسأل الروح القدس كي يُحْيِها لنا اليوم.

يقول المُصلِح "مارتن لوثر": "إنَّ النَّص الكتابي الذي دَوَّنه لنا الكُتَّاب بإرشاد الروح القدس، يَحْمِل رسالة روحية وقَصْداً روحياً لحياتنا، لكنَّ هذا النَّص لَنْ يُفْهَم بمَعْناه الحقيقي، ولَنْ يَحْيا لَنا اليَوْم، إلاَّ عندما يَفْتَح الروح القدس قلوبنا وأذْهاننا أثناء قراءة الكلمة". ويقول أيضاً: "نَحن نذهب إلى الكتاب المقدس لنَجِد المسيح، ولَنْ نجده إلاَّ عندما يُرْشدنا الروح القدس إلَيْه في كلمته". وبذلك، فإنَّنا عندما نقرأ الكتاب المقدس، مِن الضَّروري جداً تلازُم الكلمة مَع الروح القدس بالصَّلاة لنَصِلَ إلى الهدف الروحي، ألا وهو تَغيير المسيح لحياتنا مِن خِلال التَّعليم والتَّوبيخ والتَّقويم والتَّأديب الذي في البِرِّ. فلا يُمْكن فَصْل الكلمة عن الروح القدس، لأنَّ قراءة الكلمة بدونه، قَد تُحوِّل الكتاب المقدس إلى قِطْعة أدبية أو قِصَصية أو شِعْرية، أو كتاب تاريخ أو أخلاق. وأيضاً الاعتماد على الروح القدس وحده بدون قراءة الكلمة، قد يُشَوِّه الإيمان المسيحي ويُبْعِده عن مَضْمونه، ويحوِّله إلى ظاهِرَة ما بَعيدةٍ عن فِكْر المسيح.

في كلِّ مرَّة نقرأ الكتاب المقدس، فلْنَقْرأه بروح الصَّلاة، طالِبين إرْشاد الروح القدس. ولنَقْرأه مُحافظين على تلازُم الكلمة والروح حتى نصير "**مولودون ثانيةً، لا مِن زَرْعٍ يَفْنَى، بل مِمَّا لا يفنى، مِن كلمة الله**

الحيَّة الباقية إلى الأبد" (1بطرس: 23:1). وهكذا نَنْمو في محبة ومعرفة المســـيح، ونصـــير أناس الله القديسين، المُتأهبين لكلِّ عمل صالح. آمين

"على هَذِه الصَّخْرَة أبْني كَنِيستي"

(متى 19:16)

عبارةٌ أساسيّة نَطَق بها الرَّب يسوع المسيح ليُعرِّف ماهِيَّة الكنيسة التي افْتداها بدمه الكريم، وما هو الأساس الذي ينبغي أنْ تُبنى عليه. لقد نَطَق بهذه العبارة "**على هذه الصخرة أبني**

كنيستي" في قيصرية فيلبُّس حِيْن فَرِح بإجابة تلميذه بطرس حول سؤال أساسي يجب أنْ يُجيب كلٌّ مِنَّا عليه: "**مَنْ يقول النَّاس أنِّي أنا ابْنُ الإنسان؟!**" أو بمعنى آخَر مَنْ هو يسوع المسيح بالنسبة لَنا؟

يُخبرنا البشير متى (ص16: 13–20) أنَّه بينما كان المسيح بصُحْبة تلاميذه سألَهم سؤاليْن: الأول سؤال عام: "**مَنْ يقول الناس أنِّي أنا؟**"، أي كيف ينظُر الناس إليَّ؟" والثاني سؤال خاص: "**وأنْتم مَنْ تقولون أنِّي أنا ابْنُ الإنسان؟**" أي كيف تنظُرون أنتُم إليَّ؟. فعلى السؤال الأول أجاب التلاميذ، قَوْم يقولون بأنَّك أنت يوحنا المعمدان، وآخرون يظنُّون أنَّك النَّبي إيليا، وآخَرون يظنُّون أنَّك النَّبي إرميا، وآخَرون يظنُّون أنَّك أحَد الأنبياء. وعلى السؤال الثاني المباشِر الذي أراد فيه المسيح معرفة رأي تلاميذه بِه، وما يعنيه شخصياً لحياتهم، قدَّم بطرس إعترافَ إيمانٍ ينبغي أنْ يكون اعترافُ إيمانِ كلِّ مَن يؤمن بالمسيح. فقال له: "**أنْتَ هو المسيح ابنُ الله الحي**" (متى 16:16). لقد أقرَّ بطرس بأنَّ يسوع هو المسيَّا الذي انتَظَرَتْه الشعوب مُنْذ زمن بعيد، وأنَّ هذا المسيَّا الذي وُلِدَ مِن مريم العَذْراء بالروح القدس هو ابْنُ الله الحي الذي أتى إلى العالَم ليكون لنا حياة ويكون لنا أفضل. حينها قال يسوع: "**طوبى لكَ يا سمعان بن يونا إنَّ لحماً ودماً لم يُعْلن لَكَ، لكِنْ أبي الذي في السَّموات**" (متى 17:16). أي: يا لَسَعادَتك يا بطرس، فإنَّ إعلانَك هذا بأنَّي أنا المسيح ابن الله الحي، لَمْ يَصْدُر مِن لَحْمٍ ودَمٍ، لكن الذي أعلنه لك هو الآب السَّماوي، الذي نَطَق بِكَ بالروح القدس، فأصْدَرْتَ هذا الإعلان. وبالتالي مِن إعلان بطرس وقول المسيح، نَسْتَخْلِص تَعريفاً للكنيسة.

يُعرِّف عُلماء الاجتماع الكنيسة بأنَّها مُؤسَّسة اجتماعية تقوم بخدمتَيْن أساسيتَيْن للمُجتمَع. الأولى، تؤمِّن فُرَص الشَّركَة والصَّداقة والعَلاقة بَيْن الناس. والثانية، تُوَجِّه الناس نحو الخَيْر

وتزوِّدهم بالدَّوافع الجيِّدة للتَّمييز بَيْن الصَّالح والطَّالح، ليختاروا ما هو صالِح. والكثير مِن الناس ينظرون إلى الكنيسة بهذا المِنظار السوسيولوجي. فمَع أهمية هذا التعريف وفائدته للمُجتمع مِن الناحية الإنسانية، فإنَّ هذا التعريف يَبْقى ناقصاً، لأنَّه لا يُعَبِّر عن وجهة نَظَر الرسول بطرس والكتاب المُقدس حَوْل ماهيَّة الكنيسة. إنَّ اعتراف بطرس بأنَّ المسيح هو ابْنُ الله الحي، وتطويب المسيح إياه، يَضَع الإطار الصَّحيح لتعريف الكنيسة. فالكنيسة هي الجماعة التي تُجيب على السؤال "مَنْ هو يسوع بالنسبة لها؟" باعترافها بأنَّه هو المسيح ابن الله الحي. وبالتالي فالكنيسة مَبْنية على الاعتراف بأنه هو ابن الله الحي. مِن هذا المُنْطَلَق فإنَّ الكنيسة ليْسَت مؤسَّسة إنْسانية كما يظُنّ السوسيولوجيون، إنَّما هي بالدرجة الأولى مؤسَّسة إلهيَّة، بمعنى أنَّ الله هو الذي أوْجدها في العالَم بقرار إلهي. وفي هذا المَغْزى نَفْهم ما قاله المسيح لبطرس (متى 17:16). ومِن ثمَّ، وفي الدرجة الثانية، تُصْبح الكنيسة مؤسَّسة إنسانية عند تجاوب بطرس والرسل والناس مع عمل الله في العالَم.

فكلمة كنيسة باللغة اليونانية "Ekklesia" تعني "الجماعة المَدْعوَّة مِن العالَم لتَعيش عَمَل الله في كلِّ حياتها". فعِنْد اعْتراف بطرس بالمسيح أنَّه ابْن الله الحي، أضاف المسيح قولاً هاماً: "**وأنا أقولُ لَكَ أيضاً، أنْتَ بطرس وعلى هذه الصَّخْرَة أبني كنيستي، وأبوابُ الجَحيم لَنْ تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السَّموات**". (متى 16: 18و19). لقد اخْتلف المُصلِحون الإنجيليون مع الكنيسة الكاثوليكية حول تفسير هذا القول المِفْصلي، مُنذُ القرن السادس عشر. والسُّؤال الذي طَرَحَه المُصلِحون الإنجيليون في الماضي، وتَطْرَحه الكنائس الإنجيلية المُصلِحة اليوم هو: كيف نُفَسِّر قول المسيح: "**أنْتَ بطرس وعلى هذه الصَّخْرَة أبني كنيستي**"؟ مَا هي تلك الصَّخْرَة، هَلْ شَخْص بطرس؟ أمْ اعتراف ايمانه؟ وهَلْ يبني المسيح كنيسته على شَخْص بطرس المُعترِف بالإيمان، أمْ على اعتراف الإيمان الذي أعْلَنَه بطرس بأنَّ المسيح هو ابْن الله الحي؟

وهل أعطى المسيح مفاتيح ملكوت السموات لشَخْص بطرس، أمْ لكلِّ مَنْ يَعْترف باعتراف إيمان بطرس؟

لقد احْتَدَم الصِّراع حَوْل تفسير هذا القول مُنْذُ القرن السادس عشر، وكثُرَت التفسيرات والتأويلات التي لَنْ أدْخِل القرَّاء فيها. فقَد أصَرَّ المُصلِحون الإنجيليون على اعتقادهم أنَّ المسيح لا يبني كنيسته على أشْخاص، مهما كانت قداستهم، بَلْ على اعترافات إيمان، مُفَسِّرين أنَّ الصَّخْرَة التي يبني المسيح كنيسته عليها، ليسَت شَخْص بطرس، وإنَّما اعْتراف إيمانه الذي لَمْ ينطِق به بلَحْمِه ودَمِه، إنَّما بروح الآب الذي في السموات. فالأشْخاص يضعفون ويُخطئون، ولا يُمكِن الاعتماد علَيْهم في إرساء الأسُس الرَّاسِخَة والمَتينَة والصَّلْبَة للكنيسة. وبالتالي، لا يمكِن أنْ يكون أساس بناء الكنيسة شَخْص بطرس، لا سيما أنَّ إنجيل متَّى يُخْبرنا في الإصحاح نَفْسه، أنَّه مُباشرةً، وبعد اعتراف الإيمان، وبينما كان المسيح يُخْبِّر تلاميذه بأنَّه سيتألَّم ويُقْتَل، نقرأ: "**مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيراً مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً:** رِد أنْ يرى ابْن الله الحي هذا يتألَّم ويُقْتَل، رافِضاً فِكْرة صَلْب المسيح. عندها قال المسيح لبطرس: "**إذْهَب عنِّي يا شيطان. أنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي لأنَّك لا تَهْتَمُّ بما لله، لَكِنْ بِما للنَّاس**" (متى 16: 23).

اتَّخَذَت الكنيسة الكاثوليكية قَوْل المسيح: "**وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات**". (متى 16: 18و19). ليكون نَصَّاً أساسياً لتَطْوير عقيدتها حَوْل عِصْمَة البابا التي مَنَحَتْه الصَّلاحية الواسِعَة وسُلطان مفاتيح ملكوت السموات للحَلّ والرَّبْط، وعزَّزَت مَكانَته كرَأسِ الكنيسة ومُمَثِّل المسيح على الأرض، الذي يوحِّد الجميع تَحْت شَخْصه، ومِن ثَمَّ انْتقال هذه الصَّلاحيات إلى

خُلفائه الباباوات مِن خلال التَّسلسُل الرسولي عَبْر التاريخ الذي لا يَزال قائماً في الكنيسة حتى اليوم، الأمْر الذي رَفَضَهُ المُصلِحون الإنْجيليون.

لقَد جَرَت مُحاولات لاهوتية لتَقْريب وجْهات النَّظَر، اسْتَنَدَت إلى دراسات كتابية، قامَ بها عُلماءُ لاهوتٍ كاثوليك وإنجيليّين في القرن الماضي، غَيَّرت بعْض المفاهيم حول النَّص المُشار اليه في (متى16). إذْ تميل هذه الدراسات إلى اعتبار شَخْص بطرس الرسول هو الصَّخْرة، لكن ليس بالمفهوم القديم نفسه، أي الصَّخْرة التي يؤسِّس المسيح كنيسته عليها، لأنَّ صَخْرة التأسيس هو المسيح. في هذه الدراسات تَمَّ الإقْرار بالدَّور الأساسي الذي لعبه الرسول بطرس في بداية الكنيسة الأولى بعد العَنصرة، وبالتحديد في كنيسة أورشليم. فالرسول بطرس، كما يُخْبرنا سِفْر أعمال الرسل ورسائل بولس، لَمْ يكُن فقط أوَّل عمود مِنْ أعمدة الكنيسة الأولى، بَلْ الحَجَر الأوَّل الحيّ الذي وُضِعَ في بِناء كنيسة المسيح. وفي هذا السِّياق، فإنَّ بطرس هو الصَّخْرة، أي الشَّخْص الأوَّل بَيْن التلاميذ، الذي أعْلن بروح الآب، أنَّ المسيح هو ابْن الله الحي. وكلُّ مَن أعْلَن اعْتراف الإيمان هذا، صار حَجراً حيَّاً ثانياً وثالثاً، كما قال الرسول بطرس: "**كونوا أنتم أيضاً مَبْنيّين كحجارَةٍ حيَّة، بيتاً روحياً كهنوتاً مُقدَّساً، لتَقديم ذبائح روحية مَقْبولة عِنْد الله بيسوع المسيح**" (1بطرس 5:2). وبالتالي، تُقِرُّ تِلْك الدراسات أنَّ الرسول بطرس حَصَل على مكانَة مُميَّزة في الكنيسة الأولى. وهذا ما أكَّده أيضاً الرسول بولس في رسالته إلى غلاطية، إذْ بعد أنْ آمَن بالمسيح، صَعِد إلى أورشليم حيث بطرس ليتعرَّف عليه: "**ثمَّ بَعْد ثلاثَ سنين صَعدْتُ إلى أورشليم لأتعرَّف ببطرس، فمَكَثْتُ عنده خمسة عشر يوماً**" (غلاطية 18:1). ممَّا يدلُّ على أهمية مكانة بطرس في كنيسة أورشليم. وعندما يذكُر بولس ظُهورات المسيح، في رسالته الأولى إلى كورنثوس، فإنَّه يذكُر بطرس، أي صَفَا، على رأس القائمة. فيقول: "**ظَهَرَ أولاً لصَفا، ثمَّ للإثني عَشَر**" (1كورنثوس 5:15).

إلاَّ أنَّ التَّساؤل الذي يَطْرحه الإنجيليون حتى بعد هذه الدراسة هو: مِنْ أيْن أتَتْ فِكْرَة التَّسلسُل الرسولي؟ وإذا اعْتَبَرنا جدلاً أنَّ بطرس كانَت له مَكانَة مُمَيَّزة في الكنيسة الأولى، وتَحْت أيِّ مَفهوم انْتقَلَت مِن بطرس إلى خُلفائه عَبْر التَّسلسُل الرسولي في التاريخ، فإنَّنا نَذْكُر أنَّ المُصْحلِين الإنجيليّين كان لهُم تفسيراً آخَر للتَّسلسُل الرسولي، إذْ فَهِموه على أنَّه لَيْس تَسلسُلاً تاريخياً للرسُل، وإنَّما هو تسَلْسُل للشهادة الرسولية للمسيح في التاريخ. فعندما انْتُقِدَ المُصلِحون الإنْجيليون بأنَّهم خَرَجوا عَن التَّسلْسُل الرسولي بإصْلاحِهم، ولَمْ يعودوا في عِدَاد الكنيسة الرسولية (كنيسة واحِدة جامِعة مقدَّسة رسولية)، فقَد أجابوا: إنَّ الكنيسة تكون رسولية عندما تتمسَّك بتعليم الرسل، وتحافظ على شهادتهم، وعلى الكتاب المقدس.

أمَّا الأمر الآخَر الذي توقَّف عنده الإنجيليون فهو قول يسوع لبطرس: "**وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات**" (متى 19:16). لقد اعْتَقَدَت الكنيسة الكاثوليكية في الماضي بأنَّ المسيح مَنَحَ بطرس صلاحية أنْ يكون حارِس باب الملكوت، ومَنَحَهُ مسؤولية أُطْلِقَ عليها مَسؤولية "المفاتيح" لفَتْح وغَلْق باب ملكوت السَّموات. وبتَعْبير آخَر، فقَد جعله وكيلاً ، يهتمُّ بملكوت السموات. إلاّ أنَّ الإنْجيليّين قالوا بأنَّ مَنْ يملُك هذه الصَّلاحية هو الرَّب يسوع المسيح فَقَط، لأنَّه ابْن الله الحي، ولَمْ يَمْنَح هذه الصَّلاحية لأحَدٍ. إنَّ تعبير "المفاتيح" ليس تَعْبيراً جديداً، بَلْ قديماً، اسْتخدمه إشعياء ليُشير إلى أنَّ الله أوْكَل "أليَاقيم بن حلقيا" على بَيْت الملك، لأنَّ الوكيل الأول "شينا" قد وُجْدَ غَيْر أهْلٍ للوكالة. لهذا قرَّر أنْ يطرده مِن مَنْصبه ويُوكِل "إلياقيم بن حلقيا": "**وأجْعَلُ مفاتيح بيت داود على كتِفِه، فيَفْتَح وليس مَنْ يُغْلِق، ويُغْلِق ولَيْس مَنْ يَفْتَح**" (إشعياء 22:22). أيضاً استخدم الرَّب يسوع المسيح هذا التَّعبير ليَصِفَ عَدَم أمانة الكتبة والفرّيسيين على الوكالَة. فقال: "وَيْلٌ لكم

أيُّها الكتبة والفرّيسيون المُراؤون، لأنَّكُم تُغْلقون ملكوت السَّموات، فلا تَدْخلونَ أنتُم، ولا تَدَعون الدَّاخلين يَدْخلون" (متى 13:23).

أمَّا تَعْبير "الحَلّ والرَّبْط"، فهو مُسْتَقى مِن العادات اليهودية، إذْ اسْتُخْدِمَ هذا التَّعبير مِنْ قِبَل مُعلّمي اليهود، وهو يُشير إلى سُلْطَة اتِّخاذ القرارت المُتعلّقة بالحياة اليومية. فعِنْد تَفْسير الشريعة، كان اليهود يَحلُّون ويَرْبطون، أي يَسْمَحون بمُماراسات ويَمْنعون أخرى. كما تُشير إلى سُلْطة التَّعليم والتَّفْسير في الكنيسة.

وبالتالي، فإنَّ تعبيرَيّ "المفاتيح" و"الحَلّ والرَّبْط" يُشيران إلى نَوع السُّلْطة، التي يجب أنْ نَفْهمها مِن السِّياق الذي وَرَد فيه النَّص قَبْل اعتراف بطرس بإيمانه. فالنَّص في (متى13:16) يشير إلى أنَّ المسيح كان يتكلَّم عَن تعليم الفرّيسيين. "**حينئذ فَهِموا أنَّه لَمْ يَقُل أنْ يتَحرَّزوا مِنْ خمير الخُبْز، بَلْ مِن تعليم الفرّيسيين والصَّدوقيّين**". فسُلْطَة المفاتيح هذه، سُلْطَة الحَلّ والرَّبط، ليْسَت هي سُلْطَة شَخْص بطرس، وإنَّما سُلْطَة الكَلِمة، سُلْطة التَّعليم والكرازة بخلاص المسيح وغُفرانه. وفي هذا السِّياق فإنَّ بطرس حقاً قد مَلَكَ مفاتيح الملكوت، وحقاً قد فتح باب ملكوت السموات للناس، وذلك بكرازته بكلمة الله في يوم العَنْصَرة. ويُخبرنا كاتب سِفْر أعمال الرسُل أنَّ بطرس عندما ألقى عِظته الأولى في يوم الخمسين، فَتَح باب الملكوت لثلاثة آلاف شَخْص سَمعوا الكلمة، وآمَنوا ودَخلوا ملكوت السموات (أعمال11:2). كما فتح الباب أيضاً ل "كيرنليوس" قائد المِئة الذي آمَن بالمسيح عندما بَشَّره بطرس.

وبالتالي، فإذا عُدْنا إلى نَصِّ اعْتراف بطرس في قيصرية فيلبس، وسألنا: ما هي الكنيسة؟ يُجيب الإنجيليون أنَّ الكنيسة هي الجماعة المَدْعوة مِن العالَم، التي تَعْتَرف بأنَّ المسيح هو ابن

الله الحي، وتَكْرز بسُلْطَة الكلمة التي تَفْتح باب ملكوت السموات. وفي مقالَة بعنوان The Church of the Word of God "كنيسة كلمة الله"، عَرَّف اللاهوتي الإنْجيلي المُعاصر "كارل بارت" الكنيسة، قائلاً: "الكنيسة هي جماعة الإيمان التي أسَّسها الله نَفْسه، هي جماعة الخُطاة الذين أطاعوا كلمة الله، ويتغذون مِنْها ويعيشون بموجبها". لقَد آمَن "بارت" أنَّ الكنيسة هي وليدة كلمة الله. فالكلمة هي الحَدَث الذي أوْجَدها في التاريخ، والحَدَث الذي يوجدها في أي وقت. كما أضاف قائلاً: "لا تَحيا الكنيسة مِن تاريخها وتقاليدها وعقائدها، بل تحيا مِن الكلمة وَحْدها. فمَوْقِع السُّلطة الحقيقية للكنيسة هو في الكتاب المُقدس، الذي يَحْفظها ويَحْفظ عقائدها ويصحِّح مسارها. ومِن الكتاب المقدس تأخُذ الكنيسة توصياتها للعَمل والخدمة".

هذا هو المفهوم الإنجيلي للكنيسة، إنَّها كنيسة كلمة الله التي أسَّسها المسيح على اعتراف إيمان أولاده بأنَّه ابْن الله الحيّ. آمين.

الجزء الأول

(1) عَيْش الإنجيل

بالسَّيْر مع المسيح

مِن المَجيء إلى العَنْصَرَة

(1) نشيد العذراء

رسالة مريم إلى كلّ مسيحي

أوَّل ترنيمة للكنيسة قبل أن تظهر ملامحها هي أنشودة مريم العذراء (لوقا1: 46-56). وقد أنْشَدَتها شِعراً مُتْقناً ومُحْكماً لُغوياً، فتغنَّت بمراحم الرَّب واحساناته على أثر لقائها المُميَّز مع نسيبتها أليصابات الحُبلى بيوحنا المعمدان، الجنين الذي أبى إلاَّ أن يسجُد للمسيح الجنين. إنَّ اليصابات الأم التي شعرت بجنينها يتحرَّك في أحشائها ليقدِّم السُّجود للمسيح، هلَّلت في هذا اللقاء المهيب، فامْتَدَحَت العذراء قائلة بصوت عظيم: "**مُبارَكة انتِ في النساء، ومباركة هي ثمرة بَطْنك. فمِن أين لي هذا أنْ تأتي أمُّ ربّي إليَّ. فهوذا حِيْن صار صوت سلامك في إذْني، ارْتَكض الجنين بابتهاج في بَطني. فطوبى للتي آمَنَت أنْ يتمَّ ما قيل لها مِن قِبَل الرَّب**"(لوقا 1: 42-45) . فأليصابات شعرت بشَرف عظيم أنْ تلتقي مريم العذراء أمّ المُخلِّص. إلاَّ أنَّ مريم، وأمام مديح أليصابات لها، شعرت بأهمية وضرورة وأولوية أنْ تُقَدِّم الحَمْد والتَّسبيح والتعظيم لله، على قوته وقداسته ورحمته، وأن تُعطيه المكانة الأولى في الإكرام. فرَدَّت على مديح أليصابات قائلة: "**تُعَظِّم نفسي الرَّب، وتَبْتَهِج روحي بالله مُخلِّصي**" (لوقا1: 47). لقد شعرت بأنَّه عليها أن تَمْدح الله وتَحمده هو، وتُعظِّمه بكلّ قواها، بنَفْسها وروحها "**تُحِب الرَّب إلهك مِن كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك**" (متى 22: 37). والنَّفس هي رمز الحياة الإنسانية وخُلاصَة شخصية الإنسان، أمَّا الروح فهي رَمز الحياة الروحية والوجدان والعواطف والتعبُّد. هذا هو الموقف الأول والأساس الذي يجب أن يتَّخذه كلّ مسيحي اخْتبر حضور الله في حياته، إنَّه موقف التَّعظيم وتقديم الحمد والإكرام والسجود لله أولاً.

إنَّ مريم في أنشودتها هذه تذكُر سببَيْن لحَمْدها لله ،الأول "**لأنَّه نَظَر إلى إتِّضاع أمته**" (لوقا1: 48). فالله يختار المُتواضعون ويُكافئهم ويُحقِّق مِن خلالهم إرادته وأهدافه. الثاني، "**لأنَّ القدير صَنَعَ بي عظائم**" (لو 1: 49). فمريم تُعظم الرَّب وتَبْتَهج به لأنَّه القدير الذي لَمْ يَصْنع بها أمراً عظيماً واحداً، بَلْ عظائم كثيرة، أهمها بشارته لها بأنَّها ستَحْبل بالمسيح المُخلص بالروح القدس. فالله قرَّر أن يأتي إلى عالمنا كطفل، وخطته هذه ستتحقَّق مِن خلال تلك الفتاة المُتواضعة، مريم، القديسة الخاضِعَة لمشيئة الله والمؤمِنة بقُدرته. وهذا سبب أساسي يوجِّه نظرنا إلى مريم، لنبتهج معها ونفرح بها، ونطوِّبها مع جميع الأجيال "**هوذا مُنْذ الآن جميع الأجيال تطوِّبني**" (لوقا 1: 48).

فمريم أدْرَكَت أنّ تمييز الله لها لَمْ يَسْـــتَثْنِها مِن حاجتها هي أيضـــاً للخلاص والمُخلِّص. وجَوْهر أنشودتها إعلانها الواضح والصَّريح أنَّ الله هو مخلِّصها. فقد رنَّمت قائلة : "**تُعظِّم نفسي الرَّب وتَبتهج روحي بالله مُخلصـــي**" (لوقا 1: 47). فبالرغم مِن عمل الله العظيم في حياتها، فهي لَمْ تعتبر نفســها غَيْر مُحتاجة للخلاص، بل على العكس، اعْتَقدت وآمَنَت بأنَّ الله اختارها لسبب جوهري كونها اتَّخَذَتْه مُخلِّصاً لها. "**تبتهج روحي بالله مخلصي**". فقد شَـهِدت وشـاهَدت، بَل واخْتبرت تحقيق ابْنها يسـوع المسـيح خَلاص العالَم على خشبة الصـليب بدمه الكريم، "**لأنَّه ليس اسْمٌ آخَر تحت السماء قد أُعْطي بَيْن الناس به ينبغي أن نخلُص**" (أعمال 4: 12). فليس هناك في ملكوت الله مَنْزِلة متوسِّطة بين المُخلِّص والمُخلَّص.

إنَّ نشـيد العذراء لا ينتهي في تطويب مريم، لكنها تنبَّأت في أنشـودتها عن أخبار سـارة للعالم أجمع، يأتي بها طفلها المُخلِّص يسوع المسيح ، أخبار سارة عن قِيَم جديدة عن ملكوت الله، قِيَم تُناقض وتَنْقُض قِيَم العالَم الحاضِـر البعيد عن الله. وسـيبدأ المُخلِّص يسـوع بتحقيقها بنفسـه أثناء خدمته على الأرض. على أن يكمل أولاده من بعده المُهمة. ففي هذا العالَم، منذ القديم وحتى اليوم، يســـود المُفكرون المُتكبِّرون على البُسـطاء، والمُتسـلِّطون المُسـتبدُّون على المُتواضـعين، والأغنياء الجَشـعون على الفقراء. لكن مريم تنبأت بأن ابنها يسوع، سيقلب قيم العالَم الحاضر رأساً على عَقِب.

فما هي تلك القِيَم الجديدة؟ قالت مريم، "**شَتَّت المُسْتكبرين بفِكْر قلوبهم، أنْزَل الأعزاء عن الكراسي، ورفع المُتَّضـعين، أشْـبَع الجياع خيرات وصَرف الأغنياء فارغين**" (لوقا 1: 51-53). إنَّ الأمر المُميَّز لهذه النبوءة هو استخدامها لصيغة فعل الماضي للتَّحدث عن المُستقبل، وكأن الأمر قد تحقَّق مُسبقاً مع أنَّ المسيح لَمْ يكُن قد وُلِدَ بعد. وهذا هو سِـــرّ الإيمان، أنْ نســـتطيع أنْ نثق في الحاضـــر بقدرة الله على التَّغيير في المُستقبل، ونتيقَّن مِن الآن أنَّه سيُتمِّم عملاً ما وَضَعناه بَيْن يديه، وكأنَّه قد تحقَّق مُسْبَقاً. هذا الجُزء مِن النبوءة حول خدمة المســيح الذي يُشــدّد على إدخال قيم جديدة في العالَم، قد تغنَّى به الكاتب "جبران خليل جبران"، حينما وصـــف ما يقوم به يســـوع المولود، قائلاً: ذلك الرَّضـــيع المُلْتَفّ بأثواب أمّه الفقيرة، قَد انْتَزَع بلُطفه صـولجان القوَّة مِن "المُشْـتري" وأسْـلَمَه للراعي المِسكين المُتَّكئ على الأعشـاب بين أغنامه. وأخذ الحكمة من

"مينرفا" برقَّته ووضعها على لسان الصياد الفقير الجالس في زورقه على شاطئ البُحيرة. وأنزل "البَعْل" عن كرسي جبروته، وأقام مكانه الفلاح البائس الذي ينثر في الحقل البذور.

هذا ما ابتدأ الرب يسوع بتحقيقه أثناء خدمته على الأرض. بالإضافة إلى إنَّه جال يكرز بالتوبة ويصنع خيراً، ويشفي جميع المُتسلِّط عليهم إبليس. فقد "**شَتَّت**" فِكْر المُستكبرين أمثال الكتبة والفريسيين، ونَقَض آراءهم لأنَّهم حمَّلوا الناس أحمالاً ثقيلة عَسِرة الحمل بشرائعهم الكثيرة التي تحوَّلت إلى عوائق كبيرة في طريق دخول الناس إلى ملكوت الله. بينما رحَّب يسوع بالمُفكرين المُتواضعين الذين تركوا في فكرهم وحياتهم مساحة لحضور الله، كالمَجوس الذين أتوا مِن المَشْرق حاملين هداياهم وساجدين له عندما كان طفلاً.

"**أنْزَل الأعزاء عن الكراسي ورَفَع المُتَّضعين**"، فخبر ولادته هَزّ عرش الحاكِم المُجرم "هيرودس الكبير" الذي عمل على الانتقام من أطفال أبرياء، فقتلهم عَلَّه يتخلَّص من المسيح الطفل. عندما أتى بعض الفريسيين (لوقا 13: 31–33) ينقلون للمسيح تهديد "هيرودس" الظَّالم بأنه يريد قتله، قال لهم يسوع: "**قولوا لهذا الثَّعلب**". والثعلب لقب استُعْمل كرَمز يشير إلى الخُبث والقدرة على التدمير. وقال: "**ها أنا أُخْرج شياطين وأشْفي اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أكمل**". كما نقرأ في (لوقا23: 8–11) فعندما تمنَّى "هيرودس" أنْ يرى مِن يسوع آيةً رَفَض، وعندما سأله أسئلة كثيرة باحْتقار وكبرياء، لَمْ يُجِبْه. بينما رَفَع المُتَّضعين أمثال أولئك الرُّعاة المؤمنين الذين أتَوا ساجدين له في ميلاده، ورجعوا إلى رعيتهم مُبشِّرين بما رأوا وسمعوا. وفي أواخر أيَّامه حمل "نابوليون بونابرت" حِفْنة مِن التُّراب وقال: لقد أسَّستُ مَمْلكتي على الدَّم والبَطْش والقوة في هذا العالَم، فزَالَت مملكتي. أمَّا أنتَ يا يسوع، بما أنَّك قد أسَّست مملكتك على قلوب البَشَر، فمَمْلكتُك لَنْ تزول، طالما أنَّ هناك بَشَر".

ولقد "**أشْبَع الجياع خَيْرات وصَرَف الأغنياء فارغين**". ونبوءة مريم هذه لا تتحدَّث عن نزع الأموال من الأغنياء، وكأن المسيح يَشِن حملة ضِدَّ الأغنياء لمُجرَّد حيازتهم على المال، بَلْ تتحدَّث عن الاغتناء مِن حضور الله في الحياة، الذي يمنعه محبة المال والتمسُّك والتعلُّق به إلى درجة التَّخلي عن الله. فيسوع أشْبَع الكثير من الجياع وأغناهم مِن خيرات خُبْز الحياة الذي أعطاه لمَن آمَن به، فاخْتَبر بعض الأغنياء غنى

حضـوره في حياتهم، ك "زكا" العشَّـار الذي حصـل على خلاص المسـيح، لأنَّه أعلن عن اسْـتعداده الكامِل لمشـاركة ما يملك مع الفقراء والمُحتاجين (لوقا 19: 1-10). لكن يوجَد بعض الأغنياء الذين لَمْ يكونوا على اسـتعداد لتجسـيد إيمإنهم في حياتهم بمُشـاركة ما يملكون من أموال مع الفقراء والمُحتاجين، كالغَني الذي أتى إلى المسـيح طالِباً الحصـول على الحياة الأبدية دون أنْ يكون له الاسْـتعداد للإصْـغاء إلى جميع وصـايا الله، والتي تتضـمَّن مشـاركة ما نملك مع الفقراء والمُحتاجين، فذهب حزيناً فارغ اليدَيْن مِن خيرات ملكوت الله (لوقا 18: 18-27).

إنَّ أنشودة مريم العذراء هي رسالة إلى كل مسيحي، تحمل لنا دروساً روحية عميقة يجب أنْ نتذكَّرها. فلنتذكر دائماً:

(1) أنْ يكون موقفنا الروحي تعظيم وتمجيد الله أولاً وقبل كل شيء، على مراحمه وإحساناته علينا.

(2) أنَّ الله أنْعَم على مريم العذراء ونَظَر إلى اتِّضـاعها وصـنع بها عظائم كثيرة، لا سـيما ميلاد المخلِّص، وأنَّه قادر أنْ يصنع بنا عظائم عندما نطيعه ونتضع أمامه.

(3) أنَّ يسوع هو المُخلِّص الوحيد للعالَم ولمريم العذراء.

(4) أنَّ قبول خلاص الله الذي أتمَّه المسـيح على الصـليب، يسـتوجِب منَّا اتخاذْ مواقف جريئة وشـجاعة في حياتنا وعلاقاتنا في كنيستنا ومجتمعنا تنسجم وقيم الإنجيل، كتلك المواقف التي اتَّخذها المسيح. وبناءً عليه:

أ. لنَحْذر الاسْتكبار بفِكرنا والتَّخلي عن الله في معرفتنا، لئلا يشتِّت المسيح تكبُّر فِكْر قلوبنا.

ب. لنَحْذر إساءة استخدام أيَّة سُلطة أُعطيت لنا، صغيرة أو كبيرة، لئلاَّ نستخدمها في ظُلم الناس، بَل لنحرص دائماً على معاملة الناس بِصِدق وعَدْل وإنصاف، لئلاَّ يُنزلنا المسيح عن كراسينا.

ج. لنَحْذر التَّعلُق بأموالنا ومُمتلكاتنا على حسـاب تعلُّقنا بالمسـيح إلهنا، لئلاَّ يَصْـرفنا فارغين مِن غِنَى ملكوت الله. آمين.

(2) ثمار التوبة

رسالة المعمدان

"اصْنَعُوا أَثْماراً تَليقُ بالتَّوْبَة" (لوقا 3: 8)

مِن الشخصيات الأساسية التي تتوجَّه الأنظار إليها في فصل المجيء، شخصية يوحنا المعمدان في دوره الرئيسي في إعداد طريق الرَّب مِن خلال دعوته الناس لاستقبال المسيح الآتي بالتوبة.

يخبرنا البشير لوقا في الأصحاح الثالث مِن إنجيله أن رسالة المعمدان تميَّزت بالتَّشديد على ترجمة التَّوبة بثمار عملية في الحياة اليومية. فعِنْد قدوم الناس إلى المعمدان للمعمودية حذَّرهم مِن غضب الله ودينونته على شرورهم، قائلاً لهم: **"يا أولاد الأفاعي مَنْ أراكُم أنْ تهربوا مِن الغَضَب الآتي، فاصْنعوا أثماراً تليق بالتوبة"** (لوقا 3: 7–٨). وهذا الأسلوب في الكرازة كان أسلوب الأنبياء في العهد القديم. وها نحن نرى يوحنا المعمدان الذي يُعْتبر آخِر أنبياء العهد القديم، يستخدم اللهجَة القاسية مُتَّبعاً الأسلوب نفسه في التَّحذير مِن دينونة الله، ليحُثّ الناس على الإسْراع إلى التوبة لتجنُّب غضب الله. لقد استخدم المعمدان صورة مُسْتوحاة مِن البرية، حيث كان يسكُن. يُقال إنَّ البرية كانت مليئة بالأفاعي السَّامة، وعند إضْرام النار في أحد الأماكن التي تواجدت فيها الأفاعي، كانت تهرب بأقصى سرعتها لتنجو منها. وبهذه الصورة شبَّه المعمدان الناس الخطاة بالأفاعي التي تنفُث سُمَّ الشَّر والظُّلم والخطية. وكما إنها تحاول أنْ تنجو مِن النار عند إضْرامها، هكذا يحاول الخطاة الهروب مِن غضب نار الله الحارِقَة. وقد أشار المعمدان في كرازته إلى أن هؤلاء المُتقدِّمين للمعمودية مِن اليهود قد يظنُّون أنَّ غضب الله لَنْ يَطالهم، لإنهم أولاد إبراهيم. هذا الفِكْر كان سائداً لدى الكثيرين مِن اليهود آنذاك إذْ ظنُّوا أنَّ وَعْد الله لإبراهيم بالبَرَكَة **"وأجْعلُك أمَّة عظيمة، وأباركك وأعظِّم اسْمك وتكون بركة وأبارك مباركيك وألْعَن لاعنيك"** ا(تكوين ١٢: ١–٣)، سوف يحميهم مِن غضب الله كيفما كانت نوعية حياتهم، بتوبة أو بدون توبة. لكن يوحنا المعمدان أكَّد لهم أنَّ وعد الله لإبراهيم لن ينفعهم إنْ لَمْ يتوبوا. إنَّ هذا الوعد لا يُنقذهم مِن غَضب الله. لقد قال: "**فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. وَلاَ تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَداً لإِبْرَاهِيمَ.**" (لوقا 3: 8). وبالتالي، فلا النَّسْل، ولا الوراثة، ولا الولاءات المُتَعدَّدة، ولا حتى معمودية يوحنا التي كانت بالماء، تَقْدر أنْ تُخلِّصهم مِن غضب الله على شرورهم. لأنَّ خطة الله لخلاص البشرية تتحقَّق، ليس مِن خلال النَّسْل، إنَّما بالإيمان، كما إبراهيم. وبالتالي، فلا سبيل للنجاة من دينونة الله إلا بالتوبة. فما هي التوبة إذْن؟

كلمة "توبة" تعني لُغوياً "الأسَف على موقِف أو عمل سيء، والعودة أو الرجوع إلى المَوقِف الصالح"،

كما يعود المُتمرِّد إلى طاعة مَن يَجِب أنْ يُقدِّم له الطاعة. وهكذا، فالتركيز في معنى كلمة "توبة" هو على الرجوع بعد الأسف. وفي مفهوم الإيمان، فالعَوْدة هي عودة إلى الله. لكن لا بُد في هذا السياق مِن التمييز بَيْن معنيي كلمتي (النَّدم والتَّوبة) المُتشابهتَيْن في الأصْل اليوناني. فمُعظم الناس لا يُميِّزون بين الكلمتَيْن في اللغة العربية. فكلمة "نَدَم" في اليونانية metameleo وكلمة "توبة" metaneo لكن الفَرْق بينهما شاسِع في المفهوم اللاهوتي والمسيحي. إنَّه الفَرْق بَيْن ندم يهوذا الإسخريوطي، بعد خيانته المسيح، إذْ شَنَق نفسه، وندم بطرس بعد إنكاره المسيح، إذْ رجع إلى الله وتاب عن خطيته وارتمى في أحضان مراحم المسيح، فصار رسولاً عظيماً لكنيسة أورشليم. فالتَّمييز الذي قد لا نُدْركه في اللغة العربية بَيْن كلمتيّ (توبة وندم)، كون الكلمتان تعبِّران عن الأسَف على موقف أو عمل سيء اقتُرِفَ، هو عند النَّدم يتمركز الإنسان الخاطئ حول نفسه، فينشغل في قَلَقه ومرارته ومُحاسبة نفسه، لكنَّه لا يتطلَّع خارج نفسه ويطلب معونة مِن الله كيما يُخرجه من حالته ويفتح له باب الرجاء والمصالحة معه ومع نفسه. وبالتالي، فعند النَّدم هناك فقط اكْتفاء بالأسَف، لكن ليس هناك رجوع إلى الله. أمَّا في التَّوبة، فإنَّه بعد مرحلة الأسَف على الخطية التي ارتُكِبَت، هناك عودة ورجوع إلى الله الذي بمعونة إلهية مِنه للتائب، يُجري الله تَغْييراً راديكالياً يشمل كامل مواقف وتوجُّهات الإنسان. تغييراً راديكالياً في الفِكْر والقَلْب والإرادة، وكل أسلوب الحياة يُترجَم بثمار حياة صالحة. وهكذا، فالتوبة عطية الله للإنسان الذي يَعْترف بخطاياه. هذا ما قاله يوحنا المعمدان للمُعْتمدين مِنْه: **"اصْنَعوا أثماراً تليقُ بالتَّوبة"**. فكل أفعالنا وأسلوب حياتنا يجب أنْ تُثمر ثماراً تليق بهذه التَّوبة التي اخْتبرناها بالإيمان.

وبعد أنْ تجاوب الناس مع كرازة المعمدان واختبروا التَّوبة والتَّغيير بعودتهم إلى الله، سألت ثلاث مجموعات (الجموع، والعشارون، والجنود) المعمدان كيف يستطيعون أنْ يستمرُّوا في أعمالهم ووظائفهم مُترجمين ثمار التَّوبة في حياتهم. إذْ سألوا سؤالاً واحدًا: "**مإذْا نَفْعَل؟**" (لوقا 3: 10)، إلاَّ أنَّ المعمدان لَمْ يقُل أنْ ينسحبوا من المجتمع ويعتزلوا للصلاة، كما فعلت جماعة (أسينيي قمران) في القرون الأولى. كما أنَّه لَمْ يطلب إليهم أنْ يلبسوا مُسوحاً ويقدموا ذبائح لله تَعْبيراً عن توبتهم، كما حَصَل في نينوى وقت مُناداة "يونان" النبي بالتوبة. لكنَّه قال لتلك المجموعات بأنّه يجب عليهم أنْ يضعوا حداً لأسلوب حياتهم الحالي البعيد عن الله، ويتَّبعوا أسلوبًا جديداً للحياة يتميَّز بثمار التوبة، أسلوباً جديدًا يعكس التغيير في أولوياتهم والتزاماتهم وعلاقاتهم.

قال المعمدان للمجموعة الأولى، الجموع بشَكْل عام دون تحديد أشغالهم ووظائفهم: إنَّ توبتكم توجِب عليكم التفكير الجاد أن تكونوا رُحماء مع المحتاجين والعناية بهم: **"مَن له ثوبان فليُعْطِ مَنْ ليس له، ومَنْ له طعام فليفْعل هكذا"** (لوقا٣: 11). فحياة التوبة والإيمان تدعوكم لمشاركة ما تملكون مع الآخرين المحتاجين،

وتظهر عندما تكسون عرياناً بثيابكم، وتُطعمون جائعاً بخُبزكم. هذه كانت سمات الكنيسة الأولى، إذْ يقول (أعمال 2: 44) "**وجميع الذين آمنوا كانوا معاً، وكان عندهم كل شيء مُشتركاً**".

أما المجموعة الثانية فقد كانت مِن العشارين. وهذه الفئة كانت مكروهة جداً من الشعب اليهودي، لأنَّهم كانوا جُباة الضَّرائب للنظام الروماني الحاكم. حيث كان رؤساء العشارين يتفقون مع السُّلطة الحاكِمَة على المبلغ المتوجَّب لهم مِن جمع الضرائب، ليجعلوا الباقي تجارة لهم يَجْنونه مِن أموال الناس الفقراء، ثم يوظِّفون حولهم بعض العشارين الذين يقومون بجَمع الضرائب مِن عامة الناس، التي كانت قيمتها تفوق أكثر بكثير قيمة الضرائب المفروضة عليهم. وبالتالي، كان العشارون يَجْنون الأموال الكثيرة بهذه الطريقة التي سمحت بالظُّلم والوشاية والرشوة. لكن يوحنا المعمدان لَمْ يقُل لهذه المجموعة، إنَّ عليهم أنْ يُغيروا وظيفتهم غَيْر المَرغوب فيها مِن قِبَل الشَّعب، بل قال لهم: توبتكم تحتّم عليكم مكافحة الفساد والتوقف عن أعمال الرشوة والوشاية والظلم. وقال: "**لا تَسْتَوفوا أكْثَر مِمَّا فُرِضَ لكُم**" (لوقا 3: 13)، إنَّ توبتكم يجب أنْ تغيِّر أسلوب حياتكم وطريقة مُمارستكم لجمع الضرائب، فلا تُحمِّلوا الناس أعْباء مالية أكثر مِن المطلوب، بَلْ كونوا أمناء في جَمْع الضرائب، واستَوْفوا مِن الناس ما هو حَق. كما يُخبرنا البشير لوقا في الأصحاح التاسع عشر، كيف غيرت التوبة حياة "زكَّا" الذي كان رئيساً للعشارين، إذْ بَعْد زيارة المسيح له في بيته وإعلانه بإنَّه "**اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذْ هو أيضاً ابْن إبراهيم**"، فوقف "زكَّا" وأعلن قائلاً: "**ها أنا يا رَب أعطي نِصْف أموالي للمساكين، وإنْ كنتُ قَد وشَيْت بأحد أردُّ له أربعة أضعاف**" (لوقا ١٩: 8، 9). لقد كان "زكَّا" العشَّار قبل توبته ظالماً واشياً اسْتولى على الكثير من أموال المساكين بدون وجه حقّ. لكنه بعد توبته، تعهَّد أنْ يُعيد نِصْف أمواله للمساكين، ويُنْصِف الذين وَشَى بهم بإرجاع أربعة أضعاف لهم ممَّا أخذ منهم.

أمَّا المجموعة الثالثة فهي من الجنود. ويُعتقد أنَّهم لم يكونوا رومانيين، إنَّما يعملون مع الرومان ويؤمِّنون الحماية للعشارين عندما كانوا يَجمعون الضرائب. هذه الفئة كانت أيضاً مُحْتَقَرَة مِن الشَّعب، وقد اعتُبِروا عملاء للرومان. لكن بالرّغْم من هذه النظرة السلبية، لَمْ يطلب منهم المعمدان تَرْك وظيفتهم. بَلْ قال لهم: "**لا تَظْلموا أحداً ولا تَشُوا بأحد واكْتَفوا بعلائفكم**" (لوقا 3: 14). وقد أشار المعمدان مِن خلال كلماته هذه إلى مشكلة كبيرة تسود في مُجتمعنا. فبَدلاً من استخدام المناصِب والوظائف لخِدمة الناس، يَسْتخدمها بعض النافِذين من أجل مصالحهم الشخصية، والظُّلم والتَّحكُم في حياة الناس. كأنه قال: لا تَسْتَغلُّوا منصبكم ووظيفتكم (كونكم جنود مسلحين)، مِن أجل المصالح الشخصية والرِّبح المالي وظُلم الناس، لا تَسْتغلوا منصبكم للوشاية والافتراء، بل اكتفوا برواتبكم ولو كانت قليلة.

إن نَقْد الرب يسوع المسيح الرئيسي للكتبة والفريسيين، هو أنَّهم بالرغم من ادّعائهم بأنهم مفسرو الشريعة، إلاَّ أنَّ تصرفاتهم لا تتطابق مع أقوالهم. فقال عنهم: "**عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ. فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ، وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا لإِنهمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ**" (متى 23: 1-3).إن ضعف المسيحيين الأساسي هو في عدم إظهار ثمار التوبة في حياتهم. هناك قول مُعبِّر مُفاده (أن أعمالك وتصرفاتك تتكلّم بصوت عالٍ جداً، إلى حَدِّ أني لَمْ أعُد قادراً على سماع كلماتك). وقد صدر في العام 2000م في مجلة "العِلْم والحياة" الفرنسية، مقالة بعنوان "جرائم الكنيسة في التاريخ"، إذْ تُعدِّد المقالة كَمّ الجرائم المُرتَكَبَة باسم المسيح وكنيسته في التاريخ، وهو مِنها بَراء. فكيف نبرِّر الحملات الصليبية والقَتل والظلم الذي ارتُكِب في منطقتنا في القرن الثاني عشر، ولا تزال الكنيسة حتى اليوم تدفع ثمنه؟ تأتي رسالة المعمدان في فصل المجيء لتُذكِّرنا لا بالنَّدم، وإنما بالتوبة الصادقة والالتزام الحقيقي بإيماننا بالرب يسوع المسيح، كيما تَظْهَر ثمار توبتنا في كل يوم مِن أيام حياتنا، حتى يرى الناس أعمالنا الحسنة ويمجدوا أبانا الذي في السموات. آمين.

(3) "إسْهروا لأنَّكم لا تَعْلمون في أيَّة ساعة يأتي ربكُم" (متى 42:24)

مِن الوعود الأساسيّة التي لَمْ تتحقَّق بَعْد، والتي تنتظر الكنيسة والمؤمنون تَحقُّقه، وَعْد المسيح بالمجيء إلَيْنا ثانية في المَجْد. هذا الوعد كرَّره الرب يسوع المسيح عدَّة مرَّات لتلاميذه بطريقة مُباشرة وغير مباشِرة. ففيقول: "**في بَيْت أبي منازل كثيرة، وإلاَّ فإني كُنْت قد قُلتُ لكُم أنا أمضي لأُعِدَّ لكم مكاناً، وإنْ مَضَيْت وأعْدَدْت لكم مكاناً، آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا**" (يوحنا 14: 2-3). فالمسيح يؤكِّد هنا أنَّ صعوده إلى السماء إنما ليُعِدَّ مكاناً لأولاده المؤمنين، وسيأتي ثانية بعد مجيئه الأوَّل في الميلاد كيما يأخذهم إليه ليكونوا حيث هو يكون. ويذكر لوقا البشير كاتب سفر أعمال الرسل أنَّه حين مواكبة التلاميذ لصعود المسيح شاخصين بأنظارهم وهو مُنطلِق إلى السماء يعلو أمامهم، قال ملاكان (رجلان) بلباس أبيض، للتلاميذ: "**أيُّها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إنَّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه مُنطلقاً إلى السماء**" (أعمال الرسل 1:11). وقد اتَّخذت الكنيسة الأولى هذا الوَعد بجديَّة كبيرة فعاشَت منتظِرَة بشَوْق، مُترقِبَة بشَغَف ومُصلِيَة "**مارآن آثا**" أي: "تعال أيُّها الرَّب يسوع" (1كورنثوس 16: 22).

تُخْبرنا بعض رسائل العهد الجديد أنَّ الكنيسة الأولى اعْتقدت أنَّ المسيح سيعود ثانيةً في زَمنهم، بينما لا يزالون على قيد الحياة. فالرسول بولس قال لكنيسة رومية: "**هذا وأنَّكم عارفون الوَقْت، إنَّها الآن ساعة، لنَسْتَيْقظ مِن النَّوم، فإنَّ خلاصنا الآن أقْرَب ممَّا كان حين آمَنَّا. قد تناهى الليل وتقارَبَ النَّهار، فلنَخْلَع أعمال الظُّلمة ونَلْبس أسْلحة النور**" (رومية 13: 11و12). أي أنَّ وَقْت مجيء المسيح (الذي هو وقت النَّهار) قد اقْتَرَب، مقارنَة مع بداية وَقْت إيماننا به. لهذا ليس هناك وقت للقيام بمشاريع طويلة الأمَد، كالزواج أو الانفصال، بل نَصَح أنْ يبقى كل عضو في الكنيسة في وَضْعه العائلي كما هو عليه، إلاّ في حالة عدم القُدرة على ضبط نفسه. فيقول: "**أنتَ مُرتبط بامرأة لا تطلب الانفصال. أنت مُنفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة**" (1كورنثوس 7: 27). أيضاً، "**ولكن أقول لغَيْر المتزوجين وللأرامل إنَّه حَسَن لهم إذْا لبثوا كما أنا، ولكن إنْ لَمْ يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا**" (1كورنثوس 7: 8-9).

إنَّ موضوع سُرعة مجيء المسيح في زمن الكنيسة الأولى، وبعد فترة قصيرة من انْطلاقه إلى السماء، أدَّى لدى البعض مِن كنيسة تسالونيكي إلى البطالَة، فأوْقَف البعض أعمالهم بحُجَّة: لماذْا نعمل إنْ كان المسيح سيأتي في أي وقت؟ وهكذا صاروا عبئاً وعالَةً على كاهِل أفراد آخَرين من الكنيسة. فحذَّرهم بولس مِن هذا الموقف السلبي ودعاهم للعمل وأكْل خُبزهم بعَرَق جبينهم. فقال: "**فإنَّنا أيضًا حين كنَّا عندكم أوصيناكم بهذا، أنَّه إنْ كان أحَدٌ لا يريد أنْ يشْتَغِل فلا يأكل أيضًا، لأنَّنا نسمع أنَّ قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب، لا يشتغلون شيئًا بَلْ هم فضوليون. فمِثل هؤلاء نوصيهم ونَعِظهم بربنا يسوع المسيح أنْ يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم**" (2 تسالونيكي 3: 10-12).

وعندما تأخَّر المسيح في مجيئه بحسب الوقت الذي احْتَسَبه بعض أعضاء الكنيسة الأولى، بَرَز بعض القوم المُسْتهزؤن الذين شكَّكوا بوعد مجيء المسيح ثانية. لذلك يقول الرسول بطرس: "**عالمين هذا أولاً أنَّه سيأتي في آخِر الأيام قوم مُستهزئون سالكين بحَسَب شهوات أنفسهم وقائلين، أيْن هو موعد مجيئه لأنَّه مِن حين رقد الآباء كلُّ شيءٍ باقٍ هكذا مِنْ بَدْء الخليقة**" (2بطرس 3: 3-4). لكن الرسول بطرس أجاب على أولئك القوم المُستهزئين بتقديم سبَبَيْن يُفَسِّران تأخُّر المسيح في مجيئه. السبب الأول، أنَّ هناك فَرقًا بين مفهوم الإنسان للوقت ومفهوم الله للوقت. فاليوم المؤلَّف مِن أربعٍ وعشرين ساعة هو مَفهوم الإنسان للوقت وليس مفهوم الله. والسبب الثاني، أنَّ الرَّب يتباطأ في تحقيق وعده، لكي يُفْسِح المجال لمَزيد مِن الوقت لتوبة الناس الذين لَمْ يتوبوا بعد، لأنَّه يريد أنَّ جميع الناس يخلُصون وإلى معرفة الحَقّ يُقْبلون. ويقول بطرس: "**ولكن لا يَخْفَ عليكم هذا الشَّيء الواحِد أنَّ يومًا واحدًا عند الرَّب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد. لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قومٌ التباطوء، لكنَّه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أنْ يهلك أناسٌ بَلْ أنْ يُقْبِلْ الجميع إلى التوبة**" (2بطرس 3: 8-9).

إنَّ السؤال الأساسي الذي بَرَز في ذِهْن، التلاميذ حين أخْبرهم أثناء وجوده معهم بمجيئه الثاني، هو: كيف سيكون مجيئه؟ وما هي العلامات التي تَسْبقه, كيما يحدِّدوا بالتدقيق الموعد. ويُخبرنا إنجيل متى إنَّه حينما كان جالساً مع تلاميذه على جبل الزيتون، تقدَّم إليه تلاميذه على انفراد قائلين: "**متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدَّهر؟**" (متى 24: 3-4). فأجاب يسوع: "**انْظُروا لا يُضِلكم أحد**". ثم ذكَر بعض

العلامات التي ستسبق مجيئه التي يمكن أنْ تضلِّلهم: أنَّ كثيرين سيأتون باسْمه قائلين "أنا هو المسيح" ويُضلُّون كثيرين، وسيكون هناك أوقات ضيق وحروب ومجاعات وأوبئة، وأنبياء ومُسَحاء كَذَبة يُعطون آيات عظيمة وعجائب، وسوف تَبْرُد محبة الكثيرين لكَثْرة الأثم. كما يذكُر أنَّ بعض المُضَلِّلين سيُحاولون خِداع المؤمنين بالإشارة إلى وجْهة مجيئه، فيقول: "**حينئذ، إنْ قال لكم أحَدٌ هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تُصدِّقوا... فإنْ قالوا لكم ها هو في البرية فلا تَخْرجوا. ها هو في المخادع فلا تُصدقوا**" (متى 24: 23، 26). أنَّ الأمر الأساسي الذي شدَّد عليه المسيح هنا، هو عدم معرفتنا لوقت مجيئه. فيقول: "**وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلاَّ أبي وحده**" (متى 24: 36). يُقدّم المسيح في إنجيل متى عدَّة صور وأمثلة تؤكِّد على عدم مَعْرفتنا لوقت مجيئه. فيقول، "لأنَّه كما أنَّ البَرْق يخرج مِن المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان." (متى 24: 27). فمَن يعرف الوقت الذي يَخْرج البرق مِن المشارق ويظْهَر في المغارب؟ أيضًا يقول ،"واعْلموا هذا أنَّه لَوْ عرف رَبُّ البيت في أيِّ هزيع يأتي السَّارق، لسَهَر ولَمْ يَدَع بيته يُنْهَب" (متى 24: 43). فمَن يعرف في أيِّ هزيع أو في أي وقت مُتأخِر مِن الليل يأتي السارق ويتركه ليَسْرق؟

إنَّ محاولة معرفة الأوقات والأزمنة هو فضول عند الإنسان. لقد حاول التلاميذ قَبْل صعود المسيح إلى السماء معرفة الوقت الذي تَملك فيه إسرائيل، فسألوه: "**يا رَبُّ هَلْ في هذا الوقت تَرُد الملك إلى إسرائيل؟ فأجابهم: ليس لكم أنْ تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جَعلها الآب في سلطانه**" (أعمال الرسل 1: 6-7). فمعرفة الأزمنة والأوقات لَمْ يجعلها الآب في سُلطان الإنسان والتلاميذ، لكنَّها بَقِيَت حَصْريًا في سُلطان الله. لقد حاول الكثيرون عَبْر التاريخ وفي سنين حديثة تحديد الوقت الذي سيأتي فيه المسيح ثانية إلى عالمنا، فضلَّلوا الناس وباءت محاولاتهم تلك بالفَشَل الذَّريع. مِن أوائل البِدَع التي حدَّدت موعد مجيء المسيح في القرن الثاني الميلادي، بدعة "المونتانية Montanism". حيث صَعِد أتباعها إلى الجَبَل لاستقبال المسيح في وقت قاموا بتحديده، إلاَّ أنَّه لَمْ يأت كما توقَّعوا، فانْدَثَرت تلك البِدْعة. وفي بداية القرن الحادي والعشرين كثر الكلام عن تحديد أوقات لمجيء المسيح الثاني ففَقَد الكلام معناه.

الاستعداد الروحي الدائم لمجيء المسيح هو الأمر الأساس الذي يُركِّز عليه المسيح بحسب نصوص العهد الجديد. فبعد أنْ وصف التَّغيرات الكونية التي ستُرافِق مجيئه قال: "**وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويُبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير**" (متى 24: 30). لهذا قال لتلاميذه ولنا: "**اسْهَروا إذاً لأنَّكم لا تعلمون في أيَّة ساعة يأتي ربكم... لذلك كونوا أنتم أيضاً مُستعدين لأنَّه في ساعة لا تَظنُّون يأتي ابن الإنسان**" (متى 24: 42-44). فالذي ميّز الكنيسة الأولى سِمَة الانتظار بالاستعداد الروحي لمجيئه، والذي يميّز الإنسان المسيحي اليوم هو أيضاً الشيء نفسه، بالاستعداد الروحي الدَّائم لاسْتقباله في أيّ وقت يأتي فيه. ومِن أجْمل الأمثال التي قدَّمها البشير متى حول الاستعداد الروحي لانتظار المسيح، مثل العذارى العَشْر (متى 25: 1-13). فالسِّمة التي ميَّزت بَيْن العذارى الجاهلات والحكيمات، هي أنَّ الحكيمات قد حَسَبْن حساب تأخُّر العريس في مجيئه، بتزودِهِنَّ لمَصابيحِهِنَّ بزَيْت إضافي، هو بالصورة المجازية زيت مِصباح الإيمان والرَّجاء والصَّبر، الذي يزوِّدنا به المسيح عندما يملأنا بروحه القدوس، فيُنير حياتنا، بينما انْطَفأت مصابيح العذارى الجاهلات لنَفاذْ الزَّيت. فالحكيمات دخلن إلى العُرس واسْتَقْبلهُنَّ العريس، بينما أُغْلِق الباب أمام الجاهلات فخَسِرْنَ لقاء العريس. يقدِّم الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس صورة تظهر الجهوزية الكاملة والاستعداد الكُلي لجُندي روماني كان يراه في السِّجْن يَحْمل سلاحه الكامل، فاستخدم تلك الصورة المعبِّرة ليطلُب مِن أعضاء كنيسة أفسس في الماضي وأعضاء كنائسنا اليوم أنْ يكونوا في جُهوزية واسْتعداد روحي كامِل بحَمْل سلاح الله الكامل لمحاربة تجارب إبليس وعَيْش حياة الإيمان بقداسة، وانتظار مجيء الرَّب ثانية في المجد. ويعدِّد الرسول بولس القِطَع التي يتكوَّن منها سلاح الله الكامل، فيقول:

"**أَخِيراً يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ... مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا.اثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ،وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إنجيل السَّلاَمِ.حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإيمان، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ.وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ القديسين**" (أفسس 6: 13-18). فسِلاح الله الكامل الذي يجب أنْ نَلْبسه لنكون على استعداد روحي ساهرين بانتظار مجيء الرَّب يسوع ثانية في المجد كما وعدنا، هو سلاح الحق، والبر، والسلام ، والإيمان، والخلاص، وكلمة الله.

(4) كيف سَرَد البشير متَّى قِصَّة الميلاد؟

يبدأ البشير متى إنْجيله بقوله: "**كتاب ميلاد يسوع المسيح ابْن داود ابن إبراهيم**". فهذه الآية هي عنوان هذا الإنجيل، لكي يَسْرد لنا قصة ميلاد الرب يسوع المسيح الذي نحتفل بمجيئه إلى عالمنا. فالبشير

متّى اليهودي الجنسية يعرف جيداً تاريخ تعامُل الله مع شعبه عَبْر الأجيال المُتلاحقة، لهذا فهو يَضَع قصة ميلاد المسيح بمغزاها الروحي واللاهوتي والتاريخي كجُزء أساسي مِن استمرار تعامل الله مع شعبه منذ القديم، ولكن الآن بطريقة جديدة لم تُعْرَف مِن قَبْل.

إنَّ الكلمة العربية "ميلاد" التي استخدمها المُترجمون، لا تَفي بالمعنى المطلوب الذي يود متّى أنْ يُخبرنا إيَّاه عن المسيح. فمتّى لا يريد أنْ يتحدث فقط عن موضوع ولادة يسوع المسيح ونشأته وبدايته في عالمنا، بل يودّ أنْ يَعْلِن لنا أنَّ ميلاد يسوع المسيح هو الحَدَث الأساس في تاريخ تعامل الله مع شعبه منذ القديم وحتى اليوم. فالكلمة المُستخدمة في اللغة اليونانية الأصلية هي كلمة "تكوين". فالبشير متى بحسب الأصل اليوناني للكلمة يبدأ إنجيله كما يلي: "كتاب تكوين يسوع المسيح"، وكلمة "تكوين" هي أوسَع وأشْمَل من كلمة "ميلاد". فهي، بالإضافة إلى أنَّها تحمل معنى أساسي هو الميلاد، إلاَّ أنَّها تحمل أيضاً في كنْهها معنيَيْن أساسيَيْن آخرَيْن، يود البشير متّى أنْ يُطلعنا عليهما. المعنى الأول لكلمة "تكوين" هو قصة". هناك قصة بدأت في القديم وتستمر حتى اليوم. والمعنى الثاني هو "الوجود" أو الحضور الذي ابتدأ منذ القديم ويستمر حتى اليوم. وبالتالي يود البشير متّى من خلال هذا العنوان أنْ يقول لنا إنَّ ميلاد المسيح في عالمنا إنما هو الجزء الأساسي من قصة تعامل الله وحضوره المستمر مع شعبه منذ القديم وحتى يومنا هذا. حيث يبدأ إنجيله بقوله إنَّ يسوع المسيح هو "عمانوئيل". "**هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا**" (متى ١:٢٣.)، ويَنْهي إنْجيله بقوله لتلاميذه ولكل مؤمنيه "**وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (28: 20).

فلكي يوضِّح لنا متّى هذه الحقيقة الروحية، فهو يُعرِّف عن هوية المسيح بلقبَيْن، الأول :"ابن داود"، والثاني: "ابن إبراهيم". فقصة تعامل الله مع شعبه كما رآها متّى، لم تبدأ بالتجسد ولَمْ تبدأ في الميلاد، بل بدأت مع إبراهيم وداود .

وبالرغم من أن النبي داود يأتي تاريخياً بعد إبراهيم وليس قَبْله، إلاَّ أنَّ البشير متّى أراد بتقديم المسيح بلقب "ابن داود" أولاً أنْ يلفت انتبهنا إلى أن المسيح هو مِن نسل ملكي، من نسل داود الذي كان ملكاً على

إسرائيل حوالي سنة ألف قبل الميلاد، فقد اختار الله الملك داود لكي يؤسِّس مملكة تعبده وتحقِّق ملكوته في العالم. وبالرغم مِن أن داود الملك ابتدأ بداية جيدة إذْ وحَّد مملكتَيّ إسرائيل ويهوذا اللتَيْن كانتا مُنقسمتَيْن، إلاَّ أنَّ هذا الأمر لَمْ يستمرّ طويلاً، فانْقسمت المملكة ثانية، وابتدأت إسرائيل بالانْحدار والتشرذم، ممَّا أدى إلى دمار إسرائيل وخراب الهيكل وسبي الشعب إلى أرضٍ غريبة. وهكذا لَمْ يحقِّق الله ملكوته مِن خلال الملك داود القديم، فصار الشعب مُحْبط الآمال يتطلَّع إلى ملك جديد، بَلْ إلى المسيَّا الذي سيرسله الله لكي يحقق ملكوته. وقد تنبأ إشعياء بأنَّ الملك الجديد الذي سيُحقق ملكوت الله سيكون مِن نسل داود: (إشعياء ١١:1– ٢) "**ويخرج قضيبٌ من جذع يسّى، وينبت غصن من أصوله، ويحلّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب**"، ويسّى هو أبو داود. أما في الأصحاح التاسع من إشعياء، والذي يتضمَّن نبوءة عن ميلاد المسيح، فيذكُر أن الولد الذي سنُعطى، أي يسوع المسيح، سيجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليثبِّتها ويعضدها بالحقّ والبرّ "**لأنَّه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد**" (اشعياء ٩:٦–7). وبالتالي، فعندما يعرّف البشير متى عن هوية يسوع المسيح أنَّه ابن داود، فهو يريد أنْ يقول لنا إنَّ ما فَشل في تحقيقه الملك داود بإعلان ملكوت الله في القديم، سيُحققه ابن داود الجديد، الملك يسوع المسيح، الذي سيحقِّق ملكوته، ليس بمفهوم العهد القديم، أي مملكة أرضية زمنية، بَلْ بمفهوم العهد الجديد، حيث سيملك الملك يسوع المسيح على عروش وقلوب كل من يؤمنون به .

أما اللقب الآخَر الذي يعرّف البشير متّى المسيح به، والذي هو جزء من هويته، فهو "ابن إبراهيم". فما الذي يشير هذا اللقب؟ وعلى أي أساس اختاره متّى؟ للإجابة عن هذَيْن السؤالَيْن، كان مِن الضروري أنْ نفهم دور إبراهيم في قصة تعامل الله مع شعبه. فيخبرنا سفر التكوين أن الله عندما دعا إبراهيم ليسير معه، قال له: "**إذْهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك... أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكُن كاملاً**" (تكوين 12: 1، 17: 1). ثم وعده الله أنْ تتبارك فيه جميع قبائل الأرض، ليس فيه شخصياً بل في نسله. والأمر المهم الذي يسترعي انتباهنا هو أنَّه عندما نَطَق الله بهذا الوعد لإبراهيم، فإبراهيم كان لا يزال

أممياً غير يهودي، لأنَّه لَمْ يكُن قد نشأ الشَّعب اليهودي بَعْد. وبالتالي، فإن بركة الله لإبراهيم من خلال هذا الوعد لم تُعْط للشعب اليهودي فقط، بل لكُل الإنسانية مِن خلال نسل إبراهيم. فإبراهيم هو أبو المؤمنين جميعاً.

أمَّا الأمر الآخَر الذي يسترعي انتباهنا، هو أنَّنا إذْا ما دقَّقنا في لائحة أجداد المسيح الطويلة التي يذكرها متّى في بداية إنجيله (2–17)، والتي تتضمَّن ٤٢ جِيلاً، نلاحظ أنَّ هذه اللائحة، وخلافاً للمُتعارَف عليه، تتضمَّن ذِكْراً لخَمْسَ نساء، مع أنَّ الأجداد يُذكرون عادَة مِن خلال الرجال فقط، كما أنَّنا نلاحظ أنَّ هذه اللائحة تتضمَّن ذِكْر ثلاثة نساء غَيْر يهوديات: تامار، راحاب، وراعوث. فراعوث مَثلاً إمرأة موآبية، ومع أنّه بحسب شريعة التثنية (٣:٢٣) التي حَرّمت أنْ يدخل موآبي في جماعة الرب، فإنَّنا نرى راعوث الموآبية ضمن لائحة أجداد المسيح. وبكلمة أخرى، فإنَّ البشير متّى مِن خلال ذِكْره لإبراهيم، ووَعْد الله له بالبركة وهو لا زال أممياً، وذِكْر النساء الأمميات، فهو يريد أن يقول لنا أمرَيْن أساسيَيْن: الأول، أنَّ خطة الله للخلاص كانت مِن البدء لكل الإنسانية رجالاً ونساءً، يهوداً وأمم، وليس فقط لليهود. والأمر الثاني، هو أنَّ الوريث الحقيقي لمواعيد الله لإبراهيم بأنْ تتبارك فيه جميع قبائل الأرض (جميع الشعب) هو هذا الطفل المخلِّص الرب يسوع المسيح. وهذا ما أعلنه ملاك الرب للرُّعاة عند ولادة المسيح، إذْ قال لهم: "**لا تخافوا، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إنَّه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلّص هوالمسيح الرب**" (لوقا٢ :١٠ – ١١).

خلاصة الأمر، إنَّ اختيار البشير متّى لقَبَيّ "ابن داود وابن إبراهيم"، هو لكي يُعلن لنا أنَّه بيسوع المسيح، طفل المذود، الذي أتى إلى عالمنا وعاش بيننا ومات وقام لأجلنا، تحقَّقت الآمال الداودية بحلول ملكوت الله، والوعود الإبراهيمية بحصول كل مَن يَقْبَل يسوع المسيح رباً ومُخلّصاً لحياته على بَركة خلاصه الله، بغض النظر عن انتمائه القلبي، له المجد إلى الأبد. آمين.

(5) كيف سَرَد البشير يوحنا قصَّة الميلاد؟

ينفرد البشير يوحنا عن البشيرَيْن لوقا ومتى بطريقة سرده قصة ميلاد الرب يسوع المسيح. فطريقة يوحنا غير تقليدية، إذْ لا تتضمَّن قصته أي ذِكر لا للرعاة ولا للمجوس ولا للملائكة ولا للمذود ولا لنجمة المشرق. بل هي قصة الله الذي هكذا أحب العالم إلى درجة كبيرة جداً، حتى إنَّه قرَّر أن يُغير مكان سُكناه لأجلنا نحن، فترك السماء وأتى إلى الأرض ليسكن معنا وبيننا وفي وسطنا، في ابنه يسوع المسيح.

يبدأ البشير يوحنا إنجيله فيقول: "**في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله**". فالكلمة الأزلي يسوع المسيح الذي كان يسكن عند الله في البدء، وهو نفسه الله، "**قد صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً**" . فالله الأزلي الأبدي الذي يسكن السماء قرَّر في الميلاد أن يدخل التاريخ ويأتي إلى عالمنا ليسكن معنا ويحلّ بيننا. وبالتالي فالبشير يوحنا يختَصِر كل قصة الميلاد ليقول لنا، إنَّ الله غيَّر عنوان سكنه، مِن السماء إلى الأرض. والعنوان الجديد لسَكنه الجديد ليس فلسطين ولا بيت لحم بالمَعنى الجغرافي، وكأن الله لا يوجد إلا هناك، لكن الله انتقل من السماء، وحلّ في عالمنا في يسوع المسيح لكي يخلّص بميلاده وموته وقيامته كل مَن يؤمن به. وتغيير السَّكن رافقه ترتيبات الحصول على شهادة نَقْل سكن مُوقَّعة، ليس مِن قِبَل مُختار بيت لحم، لكن وقَّعها الشهود الأوّلون والرسل الذين عاينوا الرَّب يسوع، ودَوَّنوا شهادة نَقْل سكن الله في الكتاب المقدس. وأحد هؤلاء الموقِّعين هو الرسول يوحنا الذي يذكر في العدد الأول مِن رسالته الأولى ما يلي: "**الذي كان من البدء، الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة**". وهكذا، كما بدأ البشير يوحنا إنجيله ليقول لنا" في البدء كان الكلمة" فإنه في رسالته الأولى يقول بأن ذاك الذي كان من البدء، ذاك الأزلي الأبدي الذي سكن السماء قد أتى إلى الأرض، قد سمعه ينادي ببشارة الحياة، وقد رآه وعاينه الرسول يوحنا وجماعة الإيمان، ورأوه بأمِّ عيونهم ولمَسوه بأيديهم.

وفي (1: 14) يقول يوحنا: "**الكلمة صار جسداً وحلّ بيننا**"، مُختصراً قصة الميلاد، لأنَّها تخبرنا عن تجسد الله وحلوله بيننا. لكن ما معنى كلمة "حلّ" بيننا؟ إنَّ الترجمة الحرفية لكلمة "حلّ" بالأصل اليوناني للاسم "شكينا" Shakina هو مشابِه لكلمة "سَكن" العربية أي "خَيّم، أقام خيمة بيننا". والفعل اليوناني "حلَّ" غني جدًا بمعانيه وارتباطاته لا سيما بالعهد القديم. فهذا الفعل يُذكرنا بوعد الله الذي قطعه لشعبه آنذاك بأن يحلّ بينهم ويسكن معهم إلى الأبد. هذا الوعد الذي لَمْ يتحقَّق في العهد القديم، قد تحقَّق في العهد الجديد في يسوع المسيح الذي أعلن لتلاميذه قائلاً: "**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (متى 28: 20). فالنبي حزقيال ذكر هذا الوعد لشعبه في الأصحاح (٣٧:٢٧و٢٨) : "**ويكون مسكني فوقهم وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً، فتعلم الأمم أني أنا الرب مقدِّس إسرائيل إذْ يكون مقدسي في وسطهم إلى الأبد**". هذا الوعد بسكن الله في وسطنا إلى الأبد، لم يتحقق بشكل كامل إلاَّ في ميلاد ربنا ومُخلصنا يسوع المسيح .أيضاً أن الفعل "حلّ" والذي

يعني أيضا "خيّم"، يذكِّرنا بخيمة الاجتماع التي لعبت دوراً أساسياً في حياة شعب الله في البرية أثناء تجوالهم. فقد طلب الله مِن موسى نَصْب خيمة الاجتماع وسط الخيام الأخرى ليجتمع معهم في البرية. كما طلب مِنهم نَقْلها معهم عند ارْتحالهم. فقد كان الهدف من تلك الخيمة أن يسكن الله وسط شعبه في البرية، وسط التجارب والصعوبات التي كانوا يواجهونها فصارت الخيمة إشارة مرئية إلى حضور الله في الوسط. فكان الله يكلم موسى في الخيمة، ويلتقي معه وجهاً لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه وكان مجد الرب وبهاؤه يملآن الخيمة في كل مرة كان ينزل الله إليها. إلاَّ أنَّ خيمة الاجتماع المُؤقتة قد بطلَت في العهد الجديد، لأنَّ الطريقة الجديدة لسَكنه وحضوره وسَط شعبه لَمْ تَعُد من خلال خيمة مؤقتة تَفْنى وتَبْلى بَلْ مِن خلال شخص الرب يسوع المسيح الذي هو الخيمة الجديدة لحضور الله معنا وفي وسطنا وبيننا. وهذا الحضور الجديد لله يَنْسَجم مع النبوءة التي أشار إليها متى البشير حول المَعنى الآخَر لاسم المسيح "**عمانوئيل**" الذي تفسيره الله معنا. **(**متى 1: 22**)**.

إنَّ حدث تجسد الله في يسوع المسيح، هو الحدث الأعظم الذي غيَّر مجرى تاريخ الإنسانية، فمنح الفرصة لإعادة ترتيب علاقة الله مع الإنسان وعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان. فالله حلَّ بَيْننا بيسوع المسيح، يعني أنَّ هناك فرصة ذهبية جديدة لتَصْحيح علاقتنا مع الله ومع الآخرين. فرصة لَمْ تكُن متوفِّرة لنا في الماضي، لكنَّها صارت مُمكنة لنا الآن. فالله في ميلاد يسوع صار أقرب مِنَّا، وأقرب إلَيْنا، وسَكنه في وسطنا، يعني سكنه وسط كل مُتغيّرات حياتنا وظروفنا، فهو معنا ليرافقنا ويكلمنا وسط ضعفاتنا وآلامنا وأفراحنا، فالله صار قريباً من كل تفاصيل حياتنا حتى يسدّ احتياجاتنا في كل مرحلة نمرُّ بها مهما كانت، هو معنا ليخلصنا مِن خطايانا، ويقوينا ويشجِّعنا ويعزينا ويباركنا.

فعندما سرد البشير يوحنا قصة الميلاد على أنها قصة الله الذي قرَّر أنْ يسكن معنا، أظهر مع القصة موقفَيْن مختلفَيْن يُعبِّران عن طريقة تجاوب الإنسان مع هذا الحدث: موقف سلبي وموقف إيجابي. الموقف السلبي، هو موقف الذين رفضوا الاستفادة من حدث التجسُّد وحلول الكلمة بينهم، بالرّغم مِن فرص الحياة والنور التي قدمها لهم، "**فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.. كان النور الحقيقي الذي يُنير كل إنسان آتياً إلى العالم**" **"(** يوحنا 1: 4 و9**)** . وهو الموقف اليهودي الرسمي الذي رفض الاعتراف بأنَّ يسوع المسيح هو المسيا المنتظر "**إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله**" **(** يوحنا1: 11**)**. فبالرغم مِن أنَّ المسيح كان الحياة

والنور، فإنَّ اليهود خاصَّته اتَّخذوا موقفاً سلبياً ورفضوه، وبِرَفْضهم إيَّاه خسروا الفرصة الذهبية ليكونوا في النور، ويختبروا عُمق معنى الحياة. أما الموقف الإيجابي فهو موقِف البشير يوحنا وجماعة المؤمنين. فهو لا يسرد قصَّة سكن الله بيننا بشكل مُحايد وكأنَّ الحدث لا يعنيه، لكنَّه يقدِّم هذا الحدث العظيم بما يعنيه شَخصياً له ولجماعته. فقصة سَكَن الله بَيْن الناس بيسوع المسيح، هي أيضاً قصة البشير يوحنا الشخصية، هي القصة التي غيّرت حياته وحياة جماعة الإيمان التي ينتمي إليها، فأعلن: "**ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقا**" (يوحنا 1: 14). وهذا القول ليس فقط تصريحاً لاهوتياً عن التجسُّد، لكنَّه اعتراف إيمان، اعتراف إيمانه وإيمان جماعته. لقد رأى يوحنا مَجْد الله في وجه يسوع المسيح، كما رأى النبي موسى مجد الله في خيمة الاجتماع حيث كان يلتقي به. وكلمة "مجد" مهمَّة جداً، فهي تعني "قيمة وعظمة حضور" . يقدّم كاتب الرسالة إلى العبرانيين المسيح على أنَّه "**بهاء مجد الله، ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته**" (عبرانيين 1: 3). وبالتالي "فمجد الله" أو قيمة وعظمة حضور الله ظهر في يسوع المسيح منذ ولادته وحتى صعوده إلى السماء.

وخلال عرض يوحنا موقفه الإيجابي من قصة الميلاد، دعا قرَّاء إنجيله إلى اختبار رؤية مجد الله بقبول يسوع المسيح رباً ومخلّصاً على الحياة "**وأمَّا كلُّ الذين قَبِلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه، الذين وُلِدوا لَيْس مِن دم ولا مِن مشيئة رجُل بَلْ مِن الله**" (يو 1: 12).

فكَم نحن بحاجة لسماع رسالة الميلاد كما سردها البشير يوحنا، بأنَّ الله غيّر عنوان سكنه، من السماء إلى الأرض، ليسكن معنا بيسوع المسيح ويخلِّصنا مِن خطايانا وآثامنا، ويرافقنا وسط آلامنا. لَيْتَ الرب يسوع المسيح يمنحنا روحه القدوس، فلا نأخذ الموقف السلبي منه ونرفضه، بَلْ نأخذ الموقف الإيجابي وننضَمّ إلى البشير يوحنا وجماعة المؤمنين، ونردّد معهم قائلين: ونحن أيضاً رأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملؤاً نعمة وحقاً" . آمين.

(6) "وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم"

(جامعة 3: 11)

عند نهاية سنة وبداية سنة جديدة، يقوى إحساسنا بمرور الزَّمن وتقدُّمنا في السنين، فنطرح على أنفسنا أسئلة وجودية عميقة تتمحور حول معنى الحياة. ما معنى الحياة؟ سؤال طرحه الفلاسفة عَبْر آلاف السنين، لكنَّهم لَمْ يصلوا إلى تعريف لقي إجماعاً. هذا السؤال لا يزال يُطْرح حتى اليوم مِن دون الوصول إلى إجابة واضِحَة ومُرضية عند الكثير مِن الناس.

في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا، وحين عَرْضه لتجسُّد المسيح ، يُجيب عن هذا السؤال الوجودي حول معنى الحياة، فيقول: "**فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس**" (يوحنا ١:٤). أي أنَّ معنى الحياة يكمُن في يسوع المسيح المُتجسد. وبالتالي، فمَن يختبر الإيمان بيسوع المسيح، يختبر معنى الحياة، لأنَّ المسيح

هو الذي يكشف له هذا المعنى. ونرى التوجُّه نفسه الذي أظهره يوحنا في عرضه لمعنى الحياة، قد نَطَق به الرسول بولس، الذي بعد اختباره للإيمان بيسوع المسيح، قال: "لأنَّ لي الحياة هي المسيح" (فيلبي1: 12). وفي صلاته الأخيرة إلى الآب صلى المسيح قائلاً "**وهذه هي الحياة الأبدية أنْ يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**" (يوحنا 17: 3). وكلمة "**يعرف**" في هذه العبارة لا يقصد بها بالأصل العبري واليوناني للكلمة، معرفة سطحية، ولكنَّها تعني معرفة اختبارية عميقة، معرفة روحية فيها يدخل الإنسان المؤمن في علاقة روحية حميمة وقريبة مع الذي يعرفه، كما يدخل الزوج مع الزوجة في علاقة قريبة وحميمة. وبالتالي، يقول يسوع إنَّ مَن يعرف أنَّ الله هو الإله الحقيقي وأنه هو الذي أرسل يسوع المسيح لفداء العالم، فإنَّه لَنْ يعرف فقط معنى هذه الحياة الأرضية الحاضرة والمَحدودة، لكنَّه سيختبر مِن هنا، وعلى هذه الأرض، البُعْد الآخَر لمعنى الحياة، ألا وهو البُعد الأبدي، أو كما يسميه المسيح "الحياة الأبدية".

يقول كاتب سِفْر الجامعة، "**صَنَع الله الكلّ حسناً في وقته. وأيضاً جَعَل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يُدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله مِن البداية إلى النهاية**" (جامعة ٣:١١). هذا النَّص هو مِن النُّصوص المُميَّزة غير المَعروفة التي نادراً ما نتوقَّف عندها ونفكِّر فيها. يقول الكاتب، "**الله جعل الأبدية في قلب المؤمن**"، والأبدية هي سِمَة مِن سمات الله (الأبدي)، كونه في طبيعته يتجاوز الزَّمن، بَلْ يَعْلو فوقه. هذه السِّمة قد أطلقها أيضاً النبي إشعياء على المسيح في نبوءته عن ميلاده في عالمنا. حيث قال "**لأنَّه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً وتكون الرِّياسَة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً (أباً أبدياً) رئيس السلام**". (إشعياء ٩:٦).

لكننا نعود ونسأل: ما هي هذه الأبدية التي جعلها الله في قلب الإنسان المؤمن؟ فَسَّر أحدهم الأبدية بأنَّها صورة الله في الإنسان، لأنَّ الله خَلَق الإنسان على صورته ومِثاله، إلاَّ أنَّ التفسير الذي (بحسب اعتقادي) ينسجم مع صلاة المسيح للآب في (يوحنا ١٧:٣)، وهو التفسير الذي يعتمده بعض مُفسري الكتاب المقدس، وهو أنَّ معنى الأبدية، إنَّما هو هذا الإحساس القوي بالزمن الحاضِر المُعْلَن الآن لنا وزمن المستقبل المُخبَّأ عنَّا. فبالرغم مِنْ أنَّ الله لَمْ يمنَح الإنسان سلطان معرفة الزَّمن "**ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه**" (أعمال ١:٧)، إلاَّ أنَّه مَنَحَه هذا الإحساس القوي بالزَّمن. وبالتالي، "فالأبدية في قلوبنا" على ضوء هذه الأفكار تعني هذا الشُّعور الداخلي، هذا الشَّوق والتَّوق الذي يضعه الله في قلوبنا

بالإيمان، حتى لا نكتفي فقط بالسِّنين القليلة التي نعيشها في هذه الحياة. فهناك شيء بداخلنا يطالِب بالمزيد من الزَّمن، بالمزيد مِن السنين، ويجعلنا نتطلَّع إلى ما وراء هذه السنين، إلى وجود نَوْعِيّ يتخطَّى الزمن، إلى وجود أبدي مع الإله الأبدي في الحياة الأبدية.

في احتفالنا بميلاد المسيح، فإنَّنا نحتفل بدخول الابن الأبدي في الزَّمن، حتى بموته وقيامته يَضَع في قلب المؤمن هذا الإحساس بالأبدية، وهو لا يزال على الأرض، كما ذكر المسيح في صلاته للآب: "**وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي ويسوع المسيح الذي أرسلته**" (يوحنا 17: 3). هذا يعني أنَّ المسيح يريدنا بالإيمان به أنْ نتذوَّق مُسبقاً ومِن الآن على هذه الأرض طَعْم الأبدية. فمَع أنَّنا لا نستطيع أنْ نستَوْعب الأبدية بفِكْرنا ومَحْدوديتنا "**لأنَّنا الآن ننظُر في مرآة في لُغز**" كما قال بولس (1 كورنثوس ١٢:١٣)، إلاَّ أنَّنا نستطيع أنْ نتلمَّس ومضات مِنها مِن خلال إيماننا بيسوع المسيح الأبدي الذي دخَل زمننا وعالمنا في الوقت المناسب، كما قال بولس للغلاطيين: "**ولكن لما جاء (مِلءُ الزَّمان) أرسل الله ابْنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس فننال التبني**" (غلاطية 4: 4 و5). فمعرفة المسيح بالدخول بعلاقة روحية معه واختبار الخلاص الذي جاء به لنا في الميلاد، يقوي فينا الشعور بالأبدية. والأبدية فينا كما قال كاتب سِفر الجامعة، "**وأيضاً جَعَل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية**" (جامعة ١١:٣)، تجعلنا نُدرك عمل الله في الحياة والتاريخ والزمن.

فإذا تَتَبَّعنا الاختبار الروحي للرسول بولس، سوف نلاحظ أنَّه قد امْتلك الأبدية في قلبه، لأنَّ الإله الأبدي أعلنها له بإيمانه بيسوع المسيح، فقد قدَّم في رسالته إلى كنيسة كورنثوس تَشْبيهاً قارن فيه بَيْن سِنِيه القليلة التي يَقْضيها على الأرض، وهذا الشَّوق إلى ما وراء سِني الأرض ليَقْضي عمره مع الأبدي في السماء. فقد قارن سِنِيه على الأرض بالسَّكن في خَيْمة مُؤقَّتة، بينما سِنِيه التي سيَقْضيها مع الأبدي بالسَّكَن في بيتٍ أبدي صَنَعه الله له. قال لأعضاء كنيسة كورنثوس "**لأنَّنا نعلم أنَّه إنْ نُقِضَ بَيْت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بِيَدٍ، أبديٌّ**". (٢كورنثوس ١:٥).

يقول الرسول بولس "**فانْظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل ككحماء. مُفْتدين الوقت لأنَّ الأيام شريرة. مِن أجل ذلك لا تكونوا أغْبياء بَلْ فاهمين ما هي مشيئة الرَّب**".(أفسس ٥:١٥ –١٧). وبالتالي، كما طلب أنْ ينتَبِهوا إلى طريقة صَرْفهم لوَقْتهم، فهو يَطلب منَّا اليوم ككنائس وكأفراد أنْ ننتبه إلى كيفية التَّصرُّف بوقتنا حتى نَصْرفه بحكمة وتدقيق. فهو يدعونا لأنْ "**تفتدي الوقت لأن الأيام شريرة**". وكلمة "**تَفْتَدي**" تعني أنْ نَسْتَخْلِص مِن الأيام الشريرة أطْول وَقْت مُمكن، لكي نَصْرفه بما يتناسَب ومشيئة الله. وهنا أود أنْ أميِّز بَيْن نوعَيْن ومَعْنَيَيْن للوقت، مَيَّزَت بينهما اللغة اليونانية: الأول (Chronos) "كرونوس"، وهو الوقت العادي الروتيني الذي نصرفه. والثاني (Kairos) "كيروس"، وهو الوَقْت المهم جداً، وَقْت الفُرَص الذهبية. وتستخدم كلمة "كيروس" للإشارة إلى الوقت المناسب، وقت الحصاد ونضوج الثمار. فعندما قال بولس "مُفتدين الوقت" استخدم الكلمة اليونانية "كيروس". وهذا يعني أنَّ بولس يدعونا إلى التَّصرُّف في وَقْتنا وسنيننا القادمة على إنَّها فُرصة ذهبية مهمَّة مَنَحَنا الله إياها لكي نستخدمها لمَجده وخدمة ملكوته في عالمنا.

يُخْبرنا الرسول بولس عن نوعية حياته الجديدة التي ابتدأت بعد إعادة ترتيب أولوياته وقيمه نتيجةً لإيمانه بالمسيح. فقَبْل الإيمان، كان يفتَخِر بأمور كثيرة ويَعْتبرها امتيازات عظيمة، ألا وهي كونه ينتمي إلى طبقة اجتماعية وروحية مُميَّزة. فقد افْتَخَر بأنه مِن جنس إسرائيل، مِن سبط بنيامين، ومِن جماعة الفريسيين، لكنه يقول إنَّ ما كان في نَظَره قَبْل الإيمان (قبل حلول الأبدية في قلبه) كبيراً وعظيماً وغاية في الأهمية، قَد أضْحى بعد الإيمان صغيراً، لا أهمية له. فكُل امتيازاته وقيمه الاجتماعية والشَّخصية السابقة فَقَدَت قيمتها وصارت "**نفاية**" في نظره بَعْد رِبْحه للمسيح بالإيمان. فقال: "**لكن ما كان لي ربحاً، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح** (فيلبي ٣:٧ – ٨). إن هذا التّغيير في أولويات بولس، الذي جرى بعد اختباره الأبدية في قلبه، قاده إلى تغيير جذري في تصرُّفاته ومواقفه، فتحوَّل من مُضْطَهِد لكنيسة المسيح إلى رسول للمسيح إلى الأمم. فالأبدية فينا يَجِب أنْ تُغيِّر أولوياتنا وقِيَمنا، الأبدية فينا يَجِب أنْ توَجِّه طريقة سُلوكنا وتصرُّفاتنا في كل سنيّ حياتنا، حتى تتناسب مع طبيعة الحياة الأبدية التي أعلنها المسيح لأولاده المؤمنين.

وعندما نبدأ سنة جديدة، ونُفكِّر في مشاريعنا وطموحاتنا وآمالنا، يجب أنْ نُدرك أنَّ نوعية علاقتنا مع المسيح هي التي ستُحدِّد موقفنا مِن الأبدية. إنَّ نوعية علاقتنا مع المسيح هي التي، إمَّا تزيل هذا الإحساس بالأبدية أو تُقويه. علّق أحد المفسرين على عبارة "الأبدية في قلبهم"، فقال: إنَّها الانقلاب الإلهي، بَل الثورة الإلهية في حياة الإنسان المؤمن، لأنَّها تستطيع أنْ توجِّه وتُعيد تشكيل حياته. فالأبدية في قلوبنا هي بمثابة البوصْلَة التي تُوجِّه حياتنا كلّها. فالأبدية في قلوبنا تساعدنا في إعادة ترتيب أولويات حياتنا مِن خلال: طريقة صَرْفنا للوقت في السنين القادمة، وطريقة عيشنا حياة مسيحية تنسجم قيمها مع قيم الأبدية. آمين.

(7) معمودية المسيح بحسب مفهوم البشير لوقا

إذْا قرأنا قصة معمودية المسيح في الأناجيل الأربعة، سوف نلاحظ أنَّ كل إنجيل يسرد قصة المعمودية بطريقة مُختلفة، فيذكر جوانب مُعيّنة، ويُهمل أخرى. فالبشير متّى هَدَف في تسجيله لحدث المعمودية بأنْ يُظْهِر الرب يسوع المسيح كخادم يُطيع الله في كلّ الأمور. فبالرغم من اعتراض يوحنا المعمدان على قدوم المسيح إليه ليعتمد منه، إلاَّ أنَّ المسيح الخادم المُطيع أجاب المعمدان بقوله، "**لأنَّه هكذا يليق بنا أن نُكَمِّل كلَّ بِرٍّ**"، وهكذا اعتمد. والبشير مرقس، هدف في تسجيله لحدث المعمودية، إلى الإشارة إلى هوية يسوع المسيح كونه ابن الله، وهو لا يجد أي حرج في اعتماد يسوع على يد يوحنا المعمدان دون أنْ يقدِّم أي تفسير لذلك. والبشير يوحنا، بالرغم مِن أنَّه لا يُسجل حدث المعمودية عند حدوثه، إلاَّ أنَّه يشير إليه عندما تحدث عن شهادة المعمدان، الذي رأى في يسوع المُعمَّد "**حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم**". وبالتالي رأى الصليب في المعمودية. أما البشير لوقا (لوقا 3:21 – 22) فإنَّه رأى في معمودية يسوع معانٍ عميقة ومُميَّزة، وسوف نتوقَّف عند أربعة منها:

أولاً: يذكر أنَّ الرَّب يسوع المسيح ذهب ليعتمد مِن يوحنا المعمدان في نهاية خدمته كتتويج لها، قَبْل أنْ يُسْجن وتُقْطَع رأسه. بالرغم مِن أنَّه لا يصف هذا الحدث كباقي الأناجيل عندما حدث، لكنَّه يذكر أنَّ خدمة المسيح

ابتدأت عندما انتهت خدمة المعمدان. فهناك تَسَلْسُل بَيْن الخدمتَيْن. فالمعمدان يخدم أولاً ويشهد عن المسيح الآتي قائلاً: "**يأتي مَنْ هو أقوى مِني، الذي لَسْتُ أهْلاً أنْ أحُلَّ سيور حذائه، هو سيعمدكم بالرُّوح القدس ونار**" (لوقا 3: 16)، ثم يأتي المسيح ويعتمد منه، ويبدأ خدمته.

ثانياً: إنَّ الأمر المُلاحظ في سِجِل البشير لوقا للمعمودية، هو أنَّ الروح القدس لَمْ يَنْزل على المسيح أثناء معموديته (كباقي الأناجيل) وإنَّما بعد انتهاء الحدث، وبشكل محدَّد عندما كان يسوع يصلّي. فيقول: "**وإذْ كان يصلّي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس**" (لوقا 3:21). وبالتالي يريد لوقا أنْ يشير إلى أهمية الصلاة في حياة المسيح وحياتنا، لاسيما، بعد المعمودية. فكما نزل الروح القدس على المسيح عندما كان يُصلّي، هكذا ينزل علينا الروح القدس عندما نكون في حالة صلاة وعبادة. هذا التَّوَجُّه لإظهار أهمية الصلاة، خاصة أثناء الأحداث الأساسية في الحياة، يظهر جَلياً في إنْجيل لوقا. وهذه بعذ الأمثلة:

عندما بشّر الملاك "جبرائيل" "زكريا" الكاهن بخَبَر ولادة ابنه "يوحنا" مِن أحشاء زوجته "أليصابات" المُتقدِّمة في السِّن كان في حالة صلاة وعبادة "**كان يخدم في هيكل الرب ويكهن ويبخّر، وكان كل جمهور الشعب يصلّون خارجاً وقت البخور**" (لوقا 1:8 و 9). أيضاً قَبْل التَّجلِّي كان يسوع يُصلي على الجبل (لوقا9: 29). كما يذكر أعمال الرسل الذي كتبه البشير لوقا إنَّه قبل حلول الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين (العَنْصَرة) "**كانوا يواظبون بنَفْس واحدة على الصلاة والطلبة**" (أعمال الرسل 1:14). كل هذه الشواهد تؤكِّد على أهمية الصلاة في حياة كل إنسان مؤمن اعتمد باسم المسيح.

ثالثاً: يقول البشير لوقا "**وإذْ كان يسوع يصلي انفتحت السماء**" (لوقا 3: 21). وانْفتاح السماء ظاهرة غير اعتيادية فوق طبيعية، تُذكِّرنا بأحداث هامة ذات مَعنى. فيذكر أنَّه في أيام إيليا النبي "**أُغلقت السموات مدة ثلاث سنين وستة أشهر، لما كان جوع عظيم في الأرض كلها**" (لوقا 4:25)، لكن انفتاح السموات يَمْنَح بركات إلهية. لقد اعتُبِرَت الديانة اليهودية المُعاصرة للمسيح أنَّ مثل هذه العناصر فوق الطبيعية تُشير إلى أنَّ الله سيُعلن عن مَنْحِه هبات للعالم. فانْفتاح السموات سيَتْبَعه كَشْف إلهي لهبات إلهية، ظَهَرت أولاً: مِن خلال نزول الروح القدس على المسيح. وثانياً، مِن خلال صوت الله الذي تكلَّم قائلاً: "**أنتَ ابني الحبيب بِكَ سُرِرْتُ**"

(لوقا 22:3). هذا الكَشْف الإلهي الجديد أعْلَن لنا عن هوية هذا المُعَمَّد، وروح الله وصَوْت الله أكَّدا أنَّ ربنا يسوع المسيح، هو هِبَة الله الجديدة للعالَم.

رابعاً: إنَّ البشير لوقا هو الوحيد بَيْن باقي البشيرين الذي يشدِّد على هيئة وشَكْل نزول الروح القدس. فهو لا يكتفي كالبشيرين متى ومرقس، بأنْ يذكُر أنَّ الروح القدس نزل على المسيح مثل حمامة، لكنَّه يشدِّد على أنَّ نزوله كان "**بهيئة جسمية**" (لوقا 22:3). وكأنَّه يريدنا أنْ نتذكَّر أهمية الهيئة الجسمية للحمامة، بَلْ أهمية رمز الحمامة في الكتاب المقدس. فبِماذا تُذكِّرنا حمامة الروح القدس التي نَزَلت على المسيح؟ إنّها برفرفة جناحيها تذكرنا بأمرَيْن: الأول، بَدْء الخليقة، فالأعداد الأولى مِن سفر التكوين تقول: "**في البَدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية على وجه الغمر، وروح الله يرف على وجه المياه**". فروح الله كان يرف كالحمامة على وجه المياه عند بَدء الخليقة ليخلق العالم ويعتني به كما يَرفُّ الطَّيْر فَوْق فراخِه ليعتني بها ويحافظ عليهم. وقد ذَكَرَت بعض التفسيرات اليهودية أنَّ هذا الطَّيْر هو الحمامة. فكما أنَّ روح الله رفّ على وجْه المياه كالحمامة ليبدأ عملية خَلْق الكون، هكذا فإنَّ رَفَّة حمامة الروح القدس، تُشير إلى عملية خلق جديد وخليقة جديدة. الأمر الثاني الذي يُذكِّرنا به رفرفة الحمامة هو قصة طوفان نوح المَذكورة في سِفْر (التكوين 8:8 – 11). حيث يقول إنَّه بعد أربعين يوماً مِن الفيضان أرسل نوح حمامة للمرَّة الثانية مِن الفُلْك، ليرى إنْ قَلَّت وجَفّت المياه عن وَجْه الأرض، فتَرَكت الفُلْك، ثم أتَت عند المساء، حامِلَة في فَمِها ورقة زيتون خضراء، عندها علم نوح أنَّ الماء قد قلَّت عن وجه الأرض. وبالتالي، كما أنَّ حمامة نوح أعلنت عن بدء حقبة جديدة هي حقبة حياة ونعمة ورجاء، بعد انتهاء حقبة الموت والدينونة التي سبَّبها الفيضان، هكذا فإنَّ تشديد لوقا على تصوير الحمامة التي نَزَلَت على المسيح بهيئتها الجسمية، هو للإعلان للعالَم بأنَّ المسيح يسوع بعد افتتح بروحه القدوس الذي حَلَّ عليه بعد المعمودية حِقْبة جديدة مِن الخلاص والنِّعمة والحياة والرَّجاء، لكلّ من يؤمن به ويتَّخذه ربّاً ومُخلّصاً لحياته. يقول المسيح: "**الحقَّ الحقَّ أقول لكُم إنَّ مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بَلْ قد انتقل من الموت إلى الحياة**" (يوحنا 24:5). وقد أكد الرسول بولس على هذه الحقيقة حين قال: "**إنَّ كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مَضَت هوذا الكلُّ قد صار جديداً**"(2 كورنثوس 17:5).

إنَّ كل خطوة قام بها المسيح، ومنها معموديته، كان لها معنى وصَدى في حياتنا، فلا نَنسى أنَّه من خلال المعمودية أظهر لنا البشير لوقا:

أنَّ يسوع المسيح هو المُنْتَظَر الذي بدأ خدمته بَعْد انتهاء خدمة المعمدان.

أنَّ انفتاح السماء وسَماع صوت الله هو كَشْف إلهي جديد بأنَّ ابنه الحبيب هو هِبَة الله للعالم.

أنَّ الصلاة، لاسيما بعد المعمودية، كانت جُزْءاً من حياة المسيح، لتكون جزءاً من حياة المعمَّدين باسمه.

أنَّ الروح القدس الذي نزل على المسيح على شَكْل حمامة أشار إلى أنَّ المسيح بدأ حقبة جديدة من الخلاص والحياة والنِّعمة لكلِّ مَن يتَّخذه رباً ومُخلِّصاً. آمين.

(8) بَيْن مَعْموديَّة المسيح ومَعْموديَّتنا في المسيح

قال اللاهوتي الإنجيلي المُعاصر "كارل بارت" إنَّ سِرَّ المعمودية تأسَّس في الكنيسة لأنَّ يسوع المسيح نفسه قَد اعتمد في نَهْر الأردن". فالمسيح اعتمَد، وأوصى تلاميذه بالمعمودية قائلاً: "**دُفِع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذْهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أنْ يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كلّ الأيام إلى انْقضاء الدهر**" (متى 28: 18). وهكذا إطاعةً لأمر المسيح الذي اعتمد، نحن نعتمد.

هناك علاقة وثيقة بَيْن معمودية المسيح ومعموديتنا في المسيح. وحتى نفهم هذه العلاقة لا بُدَّ أنْ نُفكّر أولاً في بعض معاني معمودية المسيح، لنرى ما تحمله من معانٍ لمعموديتنا.

فإذْا تأمَّلنا في السِّياق الذي تكلَّم فيه إنجيل لوقا لتوضيح سبب معمودية يوحنا المعمدان للمسيح، نرى أنَّه كان يعمِّد الناس بمعمودية التَّوبة لمَغفرة الخطايا، وهو يقول لهم: "**توبوا، لأنَّه قد اقترب ملكوت الله... أنا أعمِّدكم بماء، ولكن يأتي مَن هو أقوى منِّي، الذي لسْتُ أهلاً أنْ أحلَّ سيور حذائه، هو سيعمِّدكم بالروح**

القدس ونار" (لوقا3: 16). ويُخبرنا البشير متَّى أنَّ كرازة يوحنا المعمدان ومعموديته لاقَت إقْبالاً كبيراً مِن الناس، إذْ يقول: "**حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن، واعتمدوا منه في الأردن مُعترفين بخطاياهم**" (متى3: 5). هذا الإقبال الكبير مِن قِبَل اليهود على معمودية يوحنا المعمدان، لَمْ يكُن اعتيادياً بل كان مُفاجئاً. لأنَّ اليهودي لَمْ يكُن يَقْبل أن يعتمِد أبداً . فالمعمودية التي كانت مُمارسة مُتَّبَعَة في الدِّين اليهودي، كانت تُفْرَض فَقَط على المُهْتدين إلى الإيمان اليهودي مِن الأديان الأخرى، الذين يرغبون في اعتناق اليهودية ليصيروا مِن شعب الله المُختار. فمعمودية المُهْتدين هذه، كانت ترمز إلى تطهير قَلْب وحياة الناس الخطاة من غير اليهود، لكنَّها لَمْ تكُن تُطبَّق على اليهود، لأنَّهم اعتبروا أنفسهم مِن شعب الله المُختار وأنَّهم أولاد إبراهيم غَيْر المُحتاجين للمعمودية. إلاَّ أنَّ الأمر غَيْر الاعتيادي الذي حَدث في معمودية يوحنا للتوبة، هو أنَّ أولئك اليهود الذين لَمْ يقبلوا في السَّابق أن تُطبَّق المعمودية عليهم، قَد أقْبلوا الآن بأعداد كبيرة ليَعْتمدوا مِن يوحنا المعمدان مُعترفين بحاجتهم إلى التَّوبة والرجوع إلى الله لينالوا غفرانه. وهذا معنى أساس يتضمَّنه مفهوم معمودية يوحنا المعمدان للتوبة.

لكننا نسأل إن كان الناس أوليك المعتمدين من المعمدان قد أدركوا حاجتهم للتوبة ولمغفرة الخطايا فأقبلوا للمعمودية. فلماذا أقبل المسيح الرَّب إلى المعمودية كما أقْبَل الناس آنذاك؟ فيقول لوقا: "**ولما اعْتَمَد الشَّعب اعْتَمَد يسوع أيضاً**" (لوقا3: 21). فهل للسبب نفسه؟ حاشا وكلاَّ. فهل يُعقل أنَّ الذي يستَقْبل التائبين ويَغْفر خطاياهم يحتاج للتوبة؟ طَبْعاً لا، فيسوع الرَّب، الله الذي تجسَّد وحلَّ بَيْننا، لَمْ يكُن بحاجة للتوبة ولمَغْفرة الخطايا. إذاً فلماذا صمَّم ذاك الذي كان بلا خطية ولَمْ يوجد في فمه غش، أن يعتمد مِن يوحنا المعمدان كما كان الناس يعتمدون؟ لقد أقبل المسيح للمعمودية ليقدِّم نموذجاً عن حاجة الإنسان إلى الله، وللتَّضامُن مع الناس في هذه اليَقْظة الروحية الجديدة، لكي يؤكِّد على حاجتهم وحاجة كلّ إنسان لاختبار حضور الله في حياته مِن خلال توبته واعترافه بخطاياه. في هذا السياق يمكن أن نفهم جواب المسيح ليوحنا المعمدان عندما حاول مَنْعه مِن المعمودية مِنْ قِبَلِه، فأجابه: "**اسْمَح الآن، لأنَّه هكذا يليق بنا أن نُكَمِّل كل بِرٍّ، حينئذ سَمَحَ له**" (متى3: 14و 15). فالمسيح الرَّب لَمْ يكُن يُفكِّر في نفسه بمَعْزل عن الناس، بَلْ كان كلّ همّه التفكير في جميع الناس، وتلبية حاجاتهم، ولاسيَّما الروحية منها. لهذا اعتمد معهم واعتمد لأجلهم، ليقدِّم في معموديته درساً لاهوتياً عميقاً تعبِّر عنه معنى معموديتنا، ألا وهو حاجتنا القُصوى إلى حضور الله في حياتنا. ويَصِف البشير متى معمودية

المسيح ويقول: "**فلمَّا اعتمد يسوع صَعِدَ للوقت مِن الماء، وإذا السَّموات قد انْفَتَحَت فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوتٌ مِن السَّموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت**" (متى3: 16 و 17).

وقد علّق اللاهوتي الإنجيلي "بولتمن" على حدث معمودية المسيح قائلاً: (إنّ حدث المعمودية يوجِّه أنظارنا، لا إلى ما عَنَت المعمودية للمسيح، ولكن إلى ما تعنيه لنا). ففي حواره مع نيقوديموس حَوْل الدخول إلى ملكوت الله، قال المسيح له: "**الحقّ الحقّ أقول لكَ إنْ كان أحد لا يولَد مِن الماء والروح لا يَقْدر أنْ يدخُل ملكوت الله**" (يوحنا3: 5). وقد فَهِمَت الكنيسة أنَّ هذا القول إشارة إلى المعمودية المسيحية بالماء والروح القدس، التي من خلالها ندخل الكنيسة كجماعة الإيمان لنُصبح مواطنين في ملكوت الله.

وبالنسبة لمعمودية الماء، يَقول الرسول بولس إنَّ معموديتنا بالماء، وإنْ اتَّخَذَت مُمارستها أشكالاً مُتعدِّدة، فهي ترمز إلى اتِّحادنا مع المسيح في موته وقيامته. وحتى يوضِّح هذه الفِكْرة، استخدم صورة المسيح وهو يعتمد في نَهْر الأردن، فقال للكنيسة: "**أمْ تَجْهلون أننا كل مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لمَوته، فدُفِنَّا معه بالمعمودية للمَوت، حتى كما أُقيم المسيح مِن الأموات بمَجْد الآب، هكذا نَسْلُكُ أيضاً في جِدَّة الحياة. لأنَّه أنْ كنَّا قَدْ صِرْنا مُتَّحدين معه بِشِبْه مَوْته، نَصير أيضاً بقيامته**" (رومية6: 3-4). فنزول المسيح في الماء يَرْمز إلى الدَّفن والمَوْت، وخُروجه من الماء يرمز إلى القيامة والحياة. وبالتالي يقصِد بولس أنْ يقول إنَّ معموديتنا بالماء تَرْمز إلى دَفْنِنا وإماتَتِنا لخطايانا مع المسيح، وخروجنا معه من الماء، يَرْمز إلى قيامتنا معه أبراراً إلى حياة جديدة.

أمَّا بالنسبة لمعمودية الروح القدس، فاستخدام يوحنا المعمدان لكلمة "**نار**"، "**هو سيعمدكم بالروح القدس ونار**" (لوقا3: 16) تشير إلى مدى فاعلية وتأثير معمودية المسيح بروحه القدوس، عندما نتَّخذه ربَّاً ومُخلِّصاً لحياتنا. فالنار تُطهِّر وتُنظّف وتُزيل ما لا يستطيع الماء أن يُنظِّفه ويزيله. والنار تدفىء، وتَخْلق قوة دفع كبيرة. وهكذا فإنَّ معموديتنا بالروح القدس (أي امتلاءنا مِن حضوره بالإيمان)، تطهِّرنا وتنظِّفنا وتزيل من حياتنا كلّ خطايا الفساد والأنانية والكبرياء وغيرها، وتجعلنا قديسين كما هو قدوس. معمودية الروح القدس تخلق في حياتنا قوة، كقوة النار، فتدفئنا بدِفء حرارة محبة وسلام ورجاء المسيح. معمودية الروح القدس تخلق فينا قوة دفع كبيرة

لتكريس قلوبنا وأفكارنا وإرادتنا له، فنخدمه بغَيْرة وأمانة وإخلاص. إنَّ الروح القدس الذي حلَّ على المسيح أثناء المعمودية مُترافِقاً مع صوت الله الذي أعْلَن بنوَّة المسيح له، هو نفسه يُعلن بنوَّتنا له عند معموديتنا بالروح القدس. وهذا ما أكَّد عليه الرسول بولس في (رومية 8: 14) "**لأنَّ كل الذين ينقادون بروح الله فاؤلئك هم أبناء الله، إذْ لَم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بَلْ أخذتم روح التَّبنِّي الذي به نَصْرخ يا أبا الآب**".

بالايجاز، وممَّا تقدَّم حول معمودية المسيح لتكميل كلّ بِرٍ، وتعليم المسيح والرسول بولس حول ارتباط معمودية المسيح ومعموديتنا في المسيح، هناك بَعْض المعاني الجوهرية التي يجب أنْ نتذكَّرها حول المعمودية المسيحية بالماء والروح:

المعمودية تشير إلى حاجة الإنسان القُصوى إلى حضور الله في حياته.

المعمودية بالماء ترمز إلى اتِّحاد المؤمن بموت وقيامة المسيح للعَيْش معه في جدَّة الحياة.

المعمودية بالروح القدس، التي هي عمل المسيح فينا بالإيمان، تطهِّرنا من خطايانا، وتدفء قلوبنا بحرارة سلامه ورجاءه، وتعلن أننا أولاد الله، وتَخْلق فينا قوَّة دفع كبيرة لخدمة ملكوته. آمين.

(9) جَبَل التَّجَلّي في مُخْدَع الصلاة

مِن أجمل الاختبارات وأقدسها، تلك التي تحصل على قِمَم الجبال، فالجِبال كانت ولا تزال مصدر الإلهام والسكينة للكثيرين من الناس. عفلى الجبال يشعر الإنسان بقُربه من الله الخالِق، ويرى جلاله وعظمته وقدرته. هذا الإحساس باختبار الله على الجبال، دَفَع المرنم إلى طلب المعونة مِن الله الذي اختبر حضوره على الجبال، فقال: "**أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني معونتي من عند الرب صانع السموات والأرض**" (مزمور 121: 1).

يذكر الكتاب المقدس أنَّ أهم المحطَّات الروحية حدثت على الجبال. فعلى رأس جبل "سيناء" أعطى الله الوصايا العشر لموسى لتكون أساس العهد القديم بَيْنه وبَيْن الشعب (خروج 20). وعلى جبل "الكرمل" أظهر الله قوته لإيليا النبي حينما أظهر فشل آلهة البَعْل في إضْرام نارٍ سماوية على المذبح (ملوك الأول 18). والكثير من الذبائح الحيوانية التي كانت ترمز في العهد القديم إلى تصحيح العلاقة مع الله، كانت تقدّم على الجِبال. هذا في العهد القديم، أما في العهد الجديد، فتخبرنا الأناجيل أنَّ الرب يسوع المسيح كان يصرف ليالي وأياماً عديدة على الجبال في الصلاة والتأمُّل. فالعِظة الشَّهيرة التي تُلخّص الحياة المسيحية العملية ألقاها المسيح على الجبل (متى5–7). كما أنَّ تجربة المسيح في بدء خدمته بعد المعمودية حدثت أيضاً على جبل عال (لوقا4: 5–8). وبانتصاره في تلك التجربة، جعل الجبال مركزاً للتَّدريب الروحي والرياضات الروحية، للانتصار على الخطية وعيش حياة الصلاة والتأمُّل.

يخبرنا متى البشير (متى 17: 1–8) أنَّ المسيح تجلَّى على الجبل، الذي يُعْتَقَد أنَّه جبل الشيخ (جبل حرمون)، حيث حصل اختبار روحي عميق اخْتبره ثلاثة مِن تلاميذه. ويشدِّد متى على أنَّ جبل التَّجلّي كان عالياً "**وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين**" (متى17: 1)، وكأنَّه يريد أنْ يقول: كلَّما عَلا الإنسان أكْثَر على الجبال، كلَّما كان قُرْبه مِن الله أكثر واختباره الروحي أعْمَق. ويَصِف إنجيل متى اختبار التجلي بأنَّ تَغييراً ما حدث في هيئة يسوع "**وتغيَّرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور**" (متى17: 2). فقد أظهر الله للحظات معدودَة أمام أعين تلاميذه حقيقة لاهوت المسيح الإلَه وأظْهر مجده الذي كان له عِند الآب قَبْل كَوْن العالم (يوحنا17: 5). ثم ظَهْر معه موسى الذي يمثِّل الشريعة، وإيليا الذي يمثِّل الأنبياء، وصارا يتكلَّمان مع المسيح عن موضوع هام جداً لأجل الإنسان، يذكُر القديس لوقا (9: 31)، إنَّ الموضوع هو خروج المسيح الذي كان عتيداً أنْ يكمِّله في أورشليم، أي توجُّه المسيح نحو صليب الجلجثة لكي يقدِّم حياته ليُنْقِذ حياتنا مِن الخطيئة. أمام هذا المنظر المجيد، تحرَّك بطرس وعبَّر عن دهشته وفرحه بذلك الاختبار الروحي الرائع، وقال للمسيح "**يا ربّ جيد أنْ نكون هَهُنا**" (متى17: 4)، دعنا نبقى أطْول وقت مُمكن، إذْ نحن في شركة مَعك ومع الأنبياء والقديسين. وطَلَب من المسيح أنْ يصنعوا ثلاث مَظال لَه وللنَّبِيَّيْن موسى وإيليا، لكي يبقوا في شركة روحية سامية معهم على الجبل. وفيما كان بطرس يتكلَّم إذا بسحابة نيّرة ظلَّلتهم، وتكلَّم الله بصوته قائلاً: "**هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا**" (متى17 : 5). يا لهذا الاختبار الرَّائع، اختبار رؤية المسيح في تجلِّيه ومَجده. يا لهذا الاختبار العميق اختبار رؤية الشريعة والأنبياء مُمثَّلَيْن في موسى وإيليا، يشهدان أنَّ يسوع المسيح هو المُزمِع أنْ يتوجَّه إلى أورشليم ليقدِّم حياته على الصليب لأجْل خلاص العالم، فتتحقَّق الشريعة والنبوة. ويا لفَرَادَة هذا الاختبار، اختبار سماع صوت الله يتكلّم معنا قائلاً: "**هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا**" (متى 17: 5). هذا كلّه حدث على جبلٍ عالٍ، وكأن الكتاب المقدس يريد أنْ يقول لنا إنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بَيْن الجبال والاختبارات الروحية، فالله أعلن عَن نفسه على الجبال.

لكنَّنا نسأل: هل نبقى على الجبال لكي نَحْصل على امتياز اللقاء مع الله؟ هذا ما ظنَّه البعض من شعب العهد القديم، وحتى الآن يظن به البعض. لكن المسيح يريد أنْ يقول لنا شيئاً آخَر، فلنَنْتَبه إلى حواره مع المرأة السامرية التي التقى بها عند بئر يعقوب، وقدَّم لها مِن ماء الحياة (يوحنا4). فقد اعتقدت تلك المرأة، كما

اعتقد أباؤها السامريون أنَّ عبادة الله تكون على الجَبَل. فسألَت المسيح قائلة: "**آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. فأجابها المسيح، "صدقيني تأتي ساعة لا على هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب**". وأردف قائلاً: "**ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين. الله روح والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغي أن يسجدوا**" (يوحنا4: 20–24). إنَّ الرب يسوع المسيح بكلامه هذا قد نَقَل اختبار جبل التَّجلي الروحي العميق، اختبار عبادة الله بالروح والحق، إلى كل مكان يتعبَّد فيه الإنسان للرب بالروح والحق. فالساعة قد أتَت التي أعلن فيها الله أنه لا ينظُر إلى مكانٍ بعينه، ولكن إلى كيفية وصِدقية الصلاة والعبادة. فالهدف من العبادة اختبار عُمق حضور الله في الحياة، في أي مكان كان.

وفي عظته على الجبل قال: "وأما أنْتَ فمتى صلَّيْت فادخُل إلى مخدعك، واغلق بابك وصلّ إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية" (متى6:6). وبقوله هذا نَقَل اختبار جَبل التَّجلي الروحي العميق الذي حدث على الجبل إلى مخدع الصلاة. فمع الإقرار بعظمة وميزة الجبال في تأمين الأجواء الروحية الملائمة للتأمل والصلاة، فإنَّ اختبار جبل التجلي، أي اختبار رؤية المسيح في مجده، اختبار الشركة مع القديسين، اختبار سماع صوت الله يكلِّمنا ويرشدنا في هذه الحياة. يقول لنا المسيح في حواره مع المرأة السامرية إنَّه قد أتَت الساعة للإيمان بأنَّ كل هذه الاختبارات الروحية العميقة التي حدثت على جبل التجلي، نستطيع أنْ نختبرها في مخدع الصلاة في غرف بيوتنا وكنائسنا وأماكن أعمالنا.

ومع الأهمية اللاهوتية لحدث تجلي المسيح الذي كشف للحظات عن حقيقة شخصه وحقيقة لاهوته ومجده، فإننا مدعوون إلى التَّفكير في حدث التجلي بغزارة معانيه على أنه اختبار صلاة.

قال أحدهم واصفاً حياة الصلاة: "أنا مدعو لأتسلَّق عالياً وبعيداً عن تفكير العالَم الباطِل، حتى أصل إلى قمَّة الجبل لأكون مع المسيح. فإنَّ نفسي تود أنْ تطير وتعلو إلى القمّة، لأنه هناك ينتظرني الله، وإلى هناك يدعوني. هناك رحمة في الصعود، راحة في التسلُّق. فساعدني يا رب أنْ أعيش هذه الحياة أبداً". آمين.

(10) أنَصومُ أمْ لا؟

عندما يحين فَصْل الصَّوم عند الكنائس الشقيقة تتوجَّه الأنظار إلى الكنائس الإنجيلية بسؤال: هل يصوم الإنجيليون؟ هذا السُّؤال لا يلاقي إجابة واضِحة وصحيحة مِن قِبَل العديد مِن أعضاء كنائسنا. فالبَعْض مِنَّا يُجيب: "نحن لا نصوم"، والبعض الآخر يتحدَّث عن "صَوْم القلب واللسان والفِكْر"، مُظْهِراً الأهمية القليلة التي يُعطيها للصوم عن الطعام. هذه الإجابات وغيرها إنْ دلّت على شيء، فهي تدلّ على القليل من اعتبار كنائسنا لموضوع الصوم، وعدم وضوح المفهوم الإنجيلي للصوم. وسبب ذلك يعود من جِهَةٍ إلى الجَهْل بمضمون الكتاب المقدس، ومِن جهة أخرى، إلى رَدّة الفِعل التاريخية العنيفة التي اتَّخذها الإصلاح الإنجيلي مِن مُمارسات الصَّوم المُنظَّم التي سادت الكنيسة في القرن السادس عشر.

مفهوم الصوم في الكتاب المقدس:

إذْا عُدْنا إلى الكتاب المقدس، دستور إيماننا الإنجيلي، لنتعرّف على حياة واختبارات رجالات الله، فإنَّنا نجدهم قد صاموا. وبما أنَّهم قد اختبروا نعمة مُميَّزة في صومهم، فقد أوصونا بالصَّوم، ولكن ليس كنشاط مُنْفَرِد، فصومهم ارتبط دائماً بالصلاة. فيُخبرنا الكتاب المقدس أنَّ أولاد الله المؤمنين هدفوا من الصوم والصلاة إلى تحقيق عَدَد من الأهداف الروحية أهمها: النمو في علاقتهم مع الله، التَّعبير عن توبتهم وتواضُعهم أمامه، التَّوسُّل إليه لمنحهم غفرانه ورحمته بعد فترة مِن التَّمرُّد، طلب إرشاده وتوجيهاته لحياتهم وحياة أولادهم، طلب نعمة وقوة أكبر لإنجاز المُهمَّات الصَّعبة.

لنأخذ بعض الأمثلة مِن حياة رجالات الله في العهدَيْن القديم والجديد لنرى الفائدة الروحية التي حقَّقها الصوم والصلاة في حياتهم. "موسى" النبي صام وأوصى الشعب بالصوم في يوم الكفارة، وهو الأمر الإلزامي الوحيد الذي تفرضه الشريعة اليهودية للصوم للتكفير عن خطايا الشعب. "**ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذلِّلون نفوسكم... لأنَّه في هذا اليوم يُكفِّر عنكم لتطهيركم مِن خطاياكم**" (لاويين 16: 29و30). وعندما بشّر "يونان" النبي أهل نينوى وآمنوا، كان صومهم للتَّعبير عن توبتهم "**فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً مِن كبيرهم إلى صغيرهم**" (يونان3:5). أمَّا "عزرا" النبي فقد صام لطلب إرشاد الله لكي لا يضلّ الطريق بل ليؤمِّن له ولعائلته طريقاً مُستقيماً: "**ونادَيْتُ هناك بصوم على نهر أهوا لكي نتذلَّل أمام إلهنا لنَطْلب مِنْه طريقاً مُسْتقيمةً لنا ولأطفالنا ولكُلّ ما لَنا**" (عزرا 21:8).

إنَّ الأهداف الروحية الأساسية للصوم لم تتغير بين العهدَيْن القديم والجديد. فعلى سبيل المثال، يُخبرنا كاتب سِفر أعمال الرسل أنَّ الكنيسة في أنطاكية طَلَبَت إرشاد الله بالصوم والصلاة لفَرْز خدّام لخدمة الكلمة في أماكن جديدة، فأرشدهم الروح القدس ليفرزوا "برنابا وشاول". "**وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه**" (أعمال 13: 2) وأثناء الخدمة، حين كان "برنابا وشاول" يكرزان بالكلمة ويؤسِّسان كنائس، انتخبا قسوسًا (أو شيوخًا) في كلّ كنيسة وطَلَبا إلى الرَّب، بالصوم والصلاة، أنْ يباركهم ويستخدمهم لمجد اسمه. "**وانْتَخبا لهم قسوسًا في كلّ كنيسة ثم صلَّيا بأصوام واستودعاهم للرَّب الذي كانوا قد آمنوا به**" (أعمال 23:14). وقد أوصى الرسول بولس كنيسة كورنثوس بضرورة التَّفرُّغ للصوم والصلاة في بعض الأوقات الهامَّة فيقول: "**لا يَسْلُب أحدكم الآخَر إلاَّ أنْ يكون على موافَقة إلى حين لكي تتفرَّغوا للصوم والصلاة**". (1كورنثوس5:7).

إنَّ وصية تلازُم الصوم والصلاة لأهداف روحية لَمْ تكُن فقط وصية الأنبياء والرسل، بَلْ وصية المسيح لتلاميذه أيضاً. يقول البشير متى إنَّ التلاميذ واجَهوا موقِف ومُهمَّة صَعْبتَيْن عندما لَمْ يستطيعوا أنْ يساعدوا أحَد الآباء، الذي أحْضَر إليهم ابْنه المُصاب بداء الصَّرَع ليشفوه فلَم يقدروا، فأحْضره إلى المسيح فشفاه. عندها سأل التلاميذ المسيح على انفراد: "**لماذا لَمْ نَقْدر نحن أنْ نشْفيه؟ قال لهم يسوع، لعدم إيمانكم... أمَّا هذا الجِنْس فلا يَخْرج إلاّ بالصَّلاة والصَّوم**" (متى 17: 19، 21).

هذه بعض الأمثلة مِن الكتاب المقدس التي تؤكِّد على ضرورة تلازُم الصوم والصلاة في بعض الأحيان في حياتنا، للوصول إلى أهداف روحية والنموّ في علاقتنا مع الله.

لقد صام المسيح وصلّى أثناء التجربة في البرية (متى4: 2)، لكن ليس للأهداف نَفْسها التي نَصوم ونُصلّي نحن لأجلها. فالمسيح هو الله المُتَجسِّد المُنَزَّه عن الخطية "**مُجَرَّب في كلِّ شيء مِثْلنا، لكن بلا خطية**" (عبرانين4: 15). إلاَّ أنَّه في صَوْمه وصلاته قدَّم لنا مثالاً في ضرورة الصوم والصلاة، لا سيما أثناء تجارب الحياة القاسية.

في حوار جَريء بَيْن تلاميذ يوحنا المعمدان والمسيح حَوْل موضوع صوم تلاميذه، والذي قد يُعطي انطباعاً بأنَّ تلاميذ المسيح لا يصومون، مَع أنَّهم كانوا يصومون، إذْ علَّم المسيح في عِظَته على الجَبَل عن الصوم: "**ومتى صُمْتُم**" (متى16:6). لقد أتى تلاميذ المعمدان إلى المسيح قائلين: "**لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيرًا، وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فقال لهم يسوع، هل يستطيع بنو العريس أنْ ينوحوا ما دام العريس معهم؟ ولكن ستأتي أيام حين يُرْفَع العريس عَنْهم حينئذ يصومون**" (متى9 : 14-17). والجدير بالذِّكْر أنَّ تلاميذ المعمدان والفريسيين كانوا يصومون كثيرًا في أوقات حَدَّدها آباؤهم في التَّقليد، لكن لَم تَفرضها الشريعة، إذْ أنَّ فريضة الصوم الوحيدة التي أوْصى بها الناموس هي صَوْم "**يوم الكفَّارة**". (لاويين 30:16). لقد مَيّز المسيح بَيْن مُتَطلِّبات الشريعة ومُتطلِّبات التَّقليد، فحافَظ مع تلاميذه على الصوم المُوصَى به من الشريعة، وأهْمَل عن قَصْد أصوام التَّقليد التي زادَت كثيرًا في العَدَد حتى صار مِن الضروري، بعد خراب أورشليم، تحديد الأيام التي يُمْنَع فيها الصوم. والمسيح في إجابةً على سؤال تلاميذ المعمدان: "**هَلْ يستطيع بنو العريس أنْ ينوحوا ما دام العريس معهم؟**" لَمْ يقُل لهُم "نعم أو لا"، بَلْ طرح في إجابته سؤلاً غير مباشِر مُفاده: كيف تحكمون بأنَّ تلاميذي لا يصومون وأنتُم لا تعرفون الحقيقة؟ فالحقيقة هي أنَّ التلاميذ لَمْ يصوموا تِلْك الأصوام المُتَعدِّدة غير الإلزامية التي صامَها تلاميذ المعمدان والفرّيسيون، لكنَّهم صاموا صوم يوم الكفَّارة، والأصوام التي احتاجَتها حياتهم الروحية بهدف النموّ في العلاقة مع الله. وقد شَبّه المسيح حالة عدم صوم تلاميذه آنَذاك، بحالة العُرْس الذي

لا يصوم الناس فيه، بَلْ يأكلون مِن أطايب العرس، لكن سينتهي هذا الوَقْت حين يُرْفَع العريس عنهم، حينئذ يصومون.

الصوم في تاريخ الكنيسة:

تنفيذًا لوصية المسيح، فإنَّ مؤمني الكنيسة صاموا وصلّوا. وقد ظَهَر في الكنيسة بعض القديسين الذين حدَّدوا أيامًا معينة للصوم، خصوصًا فَتْرة الصوم قَبْل عيد القيامة. فيقول القديس "إيرينيوس" في هذا الصَّدَد: (يعتقد البعض أنَّ الصوم هو ليوم واحِد، والبعض الآخَر ليومَيْن، وغيرهم لأكثر، وأيضًا يقول البعض لأربعين يومًا). إلاّ أنَّ الذِّكْر الأوَّل لصوم الأربعين يومًا كان في القرن الرابع الميلادي.

وقد بدأ مفهوم الصوم يأخذ مَنْحى مُخْتلِفًا عن المفهوم الأساسي الذي يعرضه الكتاب المقدس خلال تاريخ الكنيسة، إذْ صار يقترن بالتَّقَشُّف والزُّهْد في الدُّنيا. وقد نَظّمت الكنيسة أياماً للصوم، فأخَذ الصوم شَكلاً شرعياً. وفي القرون الوسْطَى ارتبط مفهوم الصوم بمبدأ الاستحقاق أمام الله، فصار يُفْهَم على أنَّه إحدى الوسائل التي مِن خلالها يسْتَحق الإنسان نعمة الله ويُكَفِّر عن خطاياه.

نَظْرَة الكنائس الإنْجيلية المُصْلَحَة مِن الصَّوم:

عندما حلَّ الإصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، وجد المُصلحون الإنجيليون أنَّ مفهوم الصوم قد انحرف عن الهَدَف الأساس المُعْلَن في الكتاب المقدس، فنادوا بضرورة العودة إلى مفهوم الكتاب المقدس والكنيسة الأولى. إنَّ الموقف الإنجيلي التاريخي المُصْلَح مِن الصوم، سجَّله المُصلحون الإنجيليون في إقرار الإيمان الهلفيتي الثاني (Second Helvetic Confession) الذي كُتِبَ سنة 1566م وكانَت له السُّلْطة العُليا في الكنائس الإنجيلية المُصلحة، وتَرْجمه إلى اللغة العربية الدكتور جورج صَبْرا في كتابه "نؤِمن ونعترف".

وعَن ضرورة الصوم يَذْكُر إقرار الإيمان: "إنَّ كنيسة المسيح توصينا بالصوم كضرورة في الوقت الحاضِر بحيث نتَّضِع أمام الله ونَحْرم جسدنا مِن وقوده، لكي يطيع الروح طاعةً أكْبَر وأسْهَل.. إنَّ الصوم عونٌ لصلوات القديسين ولكلّ الفضائل".

وعن دوافع الصوم يُعلن أقرار الإيمان: "كلّ صوم يجِب أنْ ينبَثِق عن روح حُرّة مُريدة، وعن تواضُع أصيل، وليس عن تصنُّع مِن أجْل كسب ثناء البَشَر أو مدحهم. وبالتأكيد، ليس مِن أجل أنْ يستحق الإنسان البرّ بسببه. فليَصُم كلّ إنسان لهذه الغاية بأنْ يَحْرم جسده مِن وقوده لكي يخدم الله بغيرة أكبر".

وعن تحديد أيام مُعيَّنة للصوم (كالصوم الكبير الذي هو فترة الأربعين يومًا التي تسبق عيد القيامة) فيَذْكُر إقرار الإيمان: "إنَّ الصوم الكبير مشهود له عند الأقدمين، إلاّ أنّ لا أثَرَ له في كتابات الرسل، لذلك لا يجوز ولا يُمكن أنْ يُفْرَض على المؤمنين".

لقد مَيَّز إقرار الإيمان الهلفيتي الثاني بَيْن نوعَيْن مِن الصوم: صوماً جماعياً وصوماً فردياً. فذَكُر: "هناك صَوْم علني وآخَر سِرّي، لقد مارس الأقْدَمون الصوم العَلني في أيام المصائب والمِحَن على الكنيسة، فامْتنعوا تماماً عَن الطعام والماء، وأمْضوا الليل كلّه في صلوات مقدَّسة وعبادة الله والتَّوبة. إنَّ صومًا كهذا يمارَس في الأيام التي تكون فيها الكنيسة في مِحْنَة. أمَّا الصوم السرّي فيُمكن لأيٍّ منَّا أنْ يُمارسه كلَّما شَعر أنَّه بعيد عن الروح".

هل يصوم الإنْجيليون؟

إنَّ إجابتنا تَنْبع من واقِع كنائسنا التي تُعطي اعتبارًا قليلاً للصوم، وبالتالي فنحن بحاجة لإعادة تقييم هذا الموضوع في نور كلمة الله التي تَحُثّنا أنْ نعطيه مع الصلاة مكانَته المناسِبة في حياتنا الروحية للنمو في علاقتنا مع الله والتَّواضُع أمامه وطلب قوَّته عند التَّجارب، وطَلَب إرشاده عندما نضل الطريق. آمين.

(11) هَهُنا أعْظَم مِن الهَيْكل

"**هَهُنا أعظم مِن الهيكل**" عبارة نطق بها المسيح عندما انتقد الفريسيون تلاميذه لأنَّهم قطفوا بعض سنابل القمح وأكلوها يوم السبت. وهذه العبارة لها مدلول عميق في نظرة المسيح ونظرة العهد الجديد إلى الهيكل. وحتى نفهم موضوع الهيكل، لا بد لنا مِن العودة إلى الكتاب المقدس، لنتوقف عند بعض المحطَّات الهامة التي تلقي الضوء عليه.

يعطي العهد القديم مكانة هامة للهيكل. فقد كان الهيكل مركز حياة وعبادة الشعب اليهودي. فبعد أن خرج الشعب العبراني من عبودية المصريين وساروا في البرية وتاهوا فيها مدة أربعين سنة، طلب الله من موسى أن يقيم له خيمة اجتماع ليجتمع فيها مع الشعب في البرية. فأقام موسى "**خيمة الاجتماع**". وهكذا مثّلت خيمة الاجتماع، التي كانوا ينقلونها معهم من مكان إلى آخر، حضور الله مع شعبه في المرحلة الأولى بانتظار مراحل لاحقة. وفي حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، طلب الله مِن داود النبي أنْ يبني له هيكلاً "**فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم**" (خروج 25: 8). وقد أوصى الله داود بكل تفاصيل ومقاييس ومحتويات ذلك الهيكل، لكن داود لم يستطع بناءه، فبناه ابنه سليمان الملك، وقد استغرق بناؤه سبع سنوات ونِصْف سنة، وقد عمل على إنهاء بناءه ثلاثون ألف عامل. وهكذا بدأت مرحلة ثانية من حضور الله مع شعبه من خلال الهيكل، فصار الشعب يعبُد الله بفرح في الهيكل. ويُعبِّر المرنم عن فرحه في عبادة الله في الهيكل فيقول: "**واحدة سألْتُ مِنَ الرَّب وإيَّاها ألتَمِس، أنْ أسكُن في بيت الرَّب كلَّ أيام حياتي، لكي أنظُر إلى جمال الرَّب وأتفرَّس في هيكله**" (مزمور27: 4). إلاَّ أنَّ الهيكل قد دُمِّرَ مرَّتَيْن: الأولى، بيد البابليين في العام 586 ق.م وأُعِيد بناؤه بشَكْل أصْغَر مِن سابقه، على زمن الفُرْس عام 515 ق.م إذ قاد النَّبِيَّان "عَزْرا ونحميا" وَرْشة إعادة بناء الهيكل،

إلاَّ أنَّ الرومان دمَّروه عام 70 م. وقد تنبَّأ المسيح بدماره عندما أخذه تلاميذه لكي يُروه أبنية الهيكل، حيث قال لهم: "**أما تَنْظرون جميع هذه، الحق أقول لكم إنَّه لا يُتْرَك حَجَرٌ على حَجَرٍ لا يُنْقَض**" (متى24: 1 –2). ومُنْذ ذلك الوقت، أي منذ عشرون قرناً واليهود المُتديّنون يُردِّدون في صلواتهم ثلاث مرَّات يومياً، قائلين: "**لتكُن مشيئتك أن يُعاد بناء الهيكل سَريعاً في أيامنا**".

إلاَّ أنَّ السؤال الأساس الذي يُطرح مع الإقرار بأهميته الكبيرة التي حظي بها الهيكل في العهد القديم، هو: هل بقي للهيكل تلك الأهمية في العهد الجديد؟ ممَّا لا شكَّ فيه أنَّه إذْا ما تَتَبَّعنا نبوءات بعض أنبياء العهد القديم فإنَّنا نلاحظ أنَّها تتحدَّث عن هيكل الأيام الأخيرة مفتوحاً لعبادة الله يستقبل شعوباً كثيرة يعبدون الله فيه. وفي هذا السياق نذكر نبوءة إشعياء (2: 2–4) وميخا (4: 2) اللَّذان عاشا في القَرن الثامن قبل الميلاد. فقد ردَّد الاثْنان النبوءة نفسها قائلَيْن: "**وتَسير شعوب كثيرة ويقولون هلُمَّ نَصْعَد إلى جَبَل الرَّب، إلى بيت إله يعقوب (الهيكل)، فيعلِّمنا مِن طُرُقه ونَسْلُك في سُبُله**". إلاَّ أنَّ هذَيْن النَّبِيَّيْن، وفي الوقت الذي كان فيه هيكل سليمان لا يزال قائماً، حَذَّرا الشَّعب أنَّه إذا تركوا الله وعبدوا الأوثان وظلموا الناس، فإنَّهم يَخْسرون مدينتهم وهيكلهم، الأمر الذي تحقَّق عند الخَراب الأول لهيكل سليمان في العام 586 ق.م.

أمَّا النبي الذي خصَّص مساحة كبيرة في سِفْره لموضوع بناء الهيكل هو حزقيال النبي، الذي كان كاهنا فيه. فقد بدأ خدمته في القرن السادس قبل الميلاد، ويُظَن أنه عاش قَبْل سَبْع سنوات مِن الدمار الثاني للهيكل على يد البابليين عام 586 ق.م، وعاش فترة دمار الهيكل، وعلّم في الجُزء الأول من سِفره بأنَّ الله سَمح بتدمير الهيكل ومدينة أورشليم بسبب تركهم لله وشريعته وعبادة الأوثان وعدم إجراء الحَقّ والعدل. إلاَّ أنَّه في الجُزء الأخير من سِفْره، وفي ثمانية أصحاحات (40–48)، تنبَّأ عن إعادة بناء الهيكل والمدينة المقدسة، ولكن على أساس شرطي مبني على تغيير جذري في حياة الشعب بالتَّوبة والعودة إلى الله. وقد اعتُبِرَ حزقيال النبي مهندس الهيكل الجديد، إذْ يذكُر تفاصيل هندسية دقيقة عن الهيكل الجديد، وتقديم الذبائح وإدخال كهنوت جديد.

وبعد هذه الجولة في نبوءات العهد القديم حول إعادة بناء الهيكل، فإنَّ السؤال الأساس الذي نطرحه هو كيف نُفَسِّر هذه النبوءات؟ هل نفسّرها بشكل حَرْفي مُتجاهلين نَظْرة يسوع المسيح حول طريقة ونوعية

حضور الله التي اتَّضَحَت وتَبَلْوَرت أكثر في لاهوت العهد الجديد؟ أعتقد اعتقاداً راسِخاً بأنَّه علينا أنْ نفسِّر نبوءات العهد القديم، ولاسيما فِكْرة إعادة بناء الهيكل، التي تكلَّم عنها حزقيال، مِن خلال مفهوم الجديد للهيكل، الذي أطلقه المسيح في العهدالجديد، ابتداء مِن حواره مع السامرية حول مفهوم الله الجديد لطريقة حضور الله مع شعبه لعبادته بالروح والحق.

هذا السؤال ليس للتقليل مِن شأن أسفار العهد القديم، فتِلْك كانت هي الكتاب المقدس الوحيد للكنيسة الأولى في القرن الأول، كما يُطْلعنا سِفْر أعمال الرسل سِجِل الكنيسة الأولى، قَبْل كتابة أسفار العهد الجديد. كما أنه ليس للتقليل مِن وَحْيها وسُلطتها في الكنيسة، وحياة جماعة الإيمان، إلاَّ أنَّنا ندعو إلى عَدَم فَرْض تفسير حرفي لنبوءات العهد القديم على مفهوم العهد الجديد. وبالتالي علينا أن نتعامل مع نبوءات العهد القديم حول الهيكل مِن منظار العهد الجديد . ولا نقول بأنَّ نبوءات العهد القديم حول الهيكل تتناقَض مع ما ورد في العهد الجديد، لأننا نؤمن إيماناً راسخاً أن التوجُّه العام للاهوت العهد الجديد هو المقياس الصحيح الذي يوضِّح ويفسِّر نبوءات العهد القديم. وقد اعْتَمد هذا المقياس القديس "أوغسطينوس" منذ القرن الرابع الميلادي، عندما قال: "العهد الجديد مُخَبَّأ في العهد القديم، والعهد القديم مُعْلَنٌ في العهد الجديد". وبالتالي فإنَّنا مَدْعوون لتفسير نبوءات العهد القديم حول إعادة بناء الهيكل، ليس بشكل حرفي، ولكن بشكل روحي ورمزي ومجازي، يحافظ على مفهوم المسيح والرسل للهيكل الجديد في العهد الجديد. ففي تعليقه على نبوءة حزقيال النبي (40-48) حول إعادة بناء الهيكل الجديد، أو النبوءات الأخرى حول الموضوع، يقول اللاهوتي الهولندي الإنجيلي "هرمن بافينك" في كتابه the last things "الأمور الأخيرة" الذي صدر عام 1996م "إنَّ الهيكل الجديد الذي رآه حزقيال منذ حوالي 2500 سنة قبل الميلاد، إنَّما يرمز بشكل روحي ومجازي إلى الجسد الروحي لكنيسة المسيح في العهد الجديد". ويتَّضح لنا معنى قول هذا اللاهوتي لاحِقاً عندما ندرس بعض مقاطع العهد الجديد التي تتحدَّث عن الهيكل.

(متى12: 1-8) حادثة تلقي ضوءاً هاماً على حقيقة مكانَة الهيكل مُقارَنةً مع شخص يسوع المسيح واحتياجات الجائعين. فعندما جاع تلاميذه وهم يمشون بَيْن الزروع قطفوا بعض سنابل القمح وأكلوها ليسدوا جوعهم، فانزعج الفريسيون مِنهم لأنَّ ذلك كان في يوم سَبْت، مُدَّعين أنَّهم دنسوا السبت. لكن المسيح ذكّرهم

بحادثة مُماثِلة في (1صموئيل21: 1–6) حيث أن داود النبي، وهو من أعظم أنبياء العهد القديم، فإنَّه عندما جاع هو والذين معه دخل الهيكل وأكل خُبُز التَّقْدِمَة، الذي لَمْ يكُن مَسْموحاً لأحد أن يأكل منه بحسب الشريعة، فبالرغم من ذلك سمح لنفسه بأنْ يأكل مِن خبز الهيكل. وبعد أن انتهى المسيح من سَرْد تلك القصة، قال للفريسيين: "**أقول لكم إن هَهُنا أعظم مِن الهيكل، فلو عَلِمْتم ما هو، إني أريد رحمة لا ذبيحة**". فيسوع المسيح ابن الله العلي، هو أعظم من داود، وأعظم من الهيكل، وله السلطان الكامل أن يسمح لتلاميذه أن يأكلوا مِن سنابل الحقل يوم السبت،خلافاً لطريقة تفسيرهم الشريعة.

كما أعلن المسيح بقوله: "**فلو عَلِمْتُم ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة لَمَا حَكَمْتُم على الأبرياء**" أنَّ عدم الحُكْم على الأبرياء، والرحمة والرأفة في التَّعاطي مع احتياجات الجائعين (ومنهم التلاميذ الذين كانوا جائعين فقطفوا سنابل القمح وأكلوها)، هي اعظم من تقديم الذبائح الحيوانية التي انْتَهَت في المسيح، الذي قدَّم نفسه ذبيحة عن الإنسان بموته على الصليب وقيامته مِن بَيْن الأموات.

أما البشير يوحنا فيورد حادثة طَرْد المسيح للصيارِفَة وباعَة الحمام من الهيكل (2: 12–22)، لأنَّهم دنَّسوه بسوء استخدامهم له كمركز تجاري ومالي للبيع والشراء. وقد استاء رؤساء الكهنة والكتبة كثيراً من موقف يسوع هذا، وقالوا له: "**أيَّة آيَة تُرينا حتى تَفْعل هذا؟ فأجاب يسوع "انْقُضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه**" (يوحنا2: 19). فبالرغم من أنه، لا اليهود ولا التلاميذ فهموا ما قاله المسيح، إذْ ظنُّوا أنَّه يتكلَّم عن الهيكل الحجري، إلاَّ أنَّ البشير يوحنا يوضِّح قول المسيح فيقول: "**وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده**"، اي عن موته وقيامته في اليوم الثالث. وبالتالي نفهم مِن تفسير يوحنا أن المسيح بموته وقيامته قد أضحى هيكل الله الجديد، الذي لا يُدَمَّر، بينما الهيكل الحجري قد دُمِّر مرَّتَيْن. وبناءً عليه، فإنَّ ما يرمز إليه هيكل سليمان الماضي القديم، كونه مكان سكن وحضور الله مع شعبه، قد تحقَّق بيسوع المسيح الذي تجسَّد وعاش بيننا. إن الاسم الآخر الذي أعطاه الملاك جبرائيل ليسوع في الميلاد هو "**عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا**" (متى 1: 23). وبالتالي فمجئ المسيح في الميلاد هو للإعلان بأنَّ هيكل سليمان قد انتهى في كل معانيه القديمة، منذ تجسّد المسيح في الميلاد، لَمْ يعد حضور الله معنا، من خلال هيكلٍ قديم، بل صار حضوره معنا بيسوع المسيح، هيكل الله الجديد.

وبعد أن صعد المسيح إلى السماء وأرسل الروح القدس الذي أسَّس الكنيسة في يوم العَنْصَرة، صارت الكنيسة جسد المسيح، هي هيكل الله الجديد والحي، وليس هيكل سليمان الحجري والجامد. هذا ما أكَّد عليه الرسول بولس (2كورنثوس6: 16) إذْ شَبَّه أعضاء الكنيسة بهيكل الله الحي قائلاً لهم: "**فإنَّكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله، إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً**". كما أن القديس بطرس شبه المؤمنين في الكنيسة، بالحجارة الحية في البيت الروحي، إذْ قال لهم: "**كونوا أنتم أيضاً مَبْنِيّين كحجارة حية بيتاً روحياً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح**" (1بطرس2: 5). أما الذبائح التي تقدَّم على مذبح هذا الهيكل الجديد فهي ليْسَت ذبائح حيوانية مِن عجول وخراف كما كان في الهيكل القديم، لكنها ذبائح روحية، كما يقول الكتاب، إنَّها ذبائح الحمد والتسبيح، ذبائح الروح المُنكسرة: "**ذبائح الله هي روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره**" (مزمور51: 71).

وخلاصة الأمر، إنَّه بعد أنْ خصَّص الله في القديم خَيْمة الاجتماع لسَكَن الله مع شعبه في البرية، ومِن ثمَّ بعدها هيكل سليمان، فإن المرحلة الأخيرة والنهائية لسَكَن وحضور الله مع شعبه في العهد الجديد هو في الكنيسة جسد المسيح وهيكل الله الحي. آمين.

(12) ملكوت الله:
للحاضر أم للمستقبل؟

عندما بدأ الرب يسوع المسيح خدمته على الأرض، كان الموضوع الاساسي الذي كرز به "ملكوت الله". يخبرنا القديس مرقس إنه بعد أن سجن يوحنا المعمدان من قبل السلطات الرومانية، جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر 1:14 – 15) .

ما هو ملكوت الله؟ إن كلمة "ملكوت" بالعربية ليست ترجمة دقيقة عن الكلمة اليونانية، فليس المقصود منها مملكة، ولا تعني مكاناً جغرافياً ما يحكم منه الله . فكلمة "ملكوت"، تعني سيادة الله، ملك الله.

لقد مرّ مفهوم ملكوت الله بمراحل متعددة ومتدرجة في تاريخ شعب الله في العهد القديم. فقد آمن العبرانيون بأن الله ملكٌ لكل الأرض وملكهم كأمة يهودية، لكن الأمر الذي كان يجب تفسيره وتوضيحه، (والذي طرح مشكلة في الإيمان اليهودي)، هو بما أن الله هو ملك الشعب اليهودي، لمإذْا لم يأت ليساعد شعبه في أوقات المحن ويؤكد حقيقة ملكه عليهم؟ إلا أن الانبياء اجابت على هذه التساؤلات، بأن السبب يكمن في ضعفات شعبه وانغماسهم بعبادة الأصنام وعنادهم وخطاياهم. الا أن اليهود آمنوا إنه مهما تأخّر الله الملك في مجيئه، فهو سيأتي عاجلاً أم آجلاً ليملك عليهم إما مباشرة أو من خلال مسيحه. وهذا يفسر ما حاول أن يقوم به الشعب بعد أن أجرى يسوع معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل من السمكتين والخمسة أرغفة كما يخبرنا